مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الواحدة والثلاثون - العدد الرابع - ربيع الآخر ١٤٢٢ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

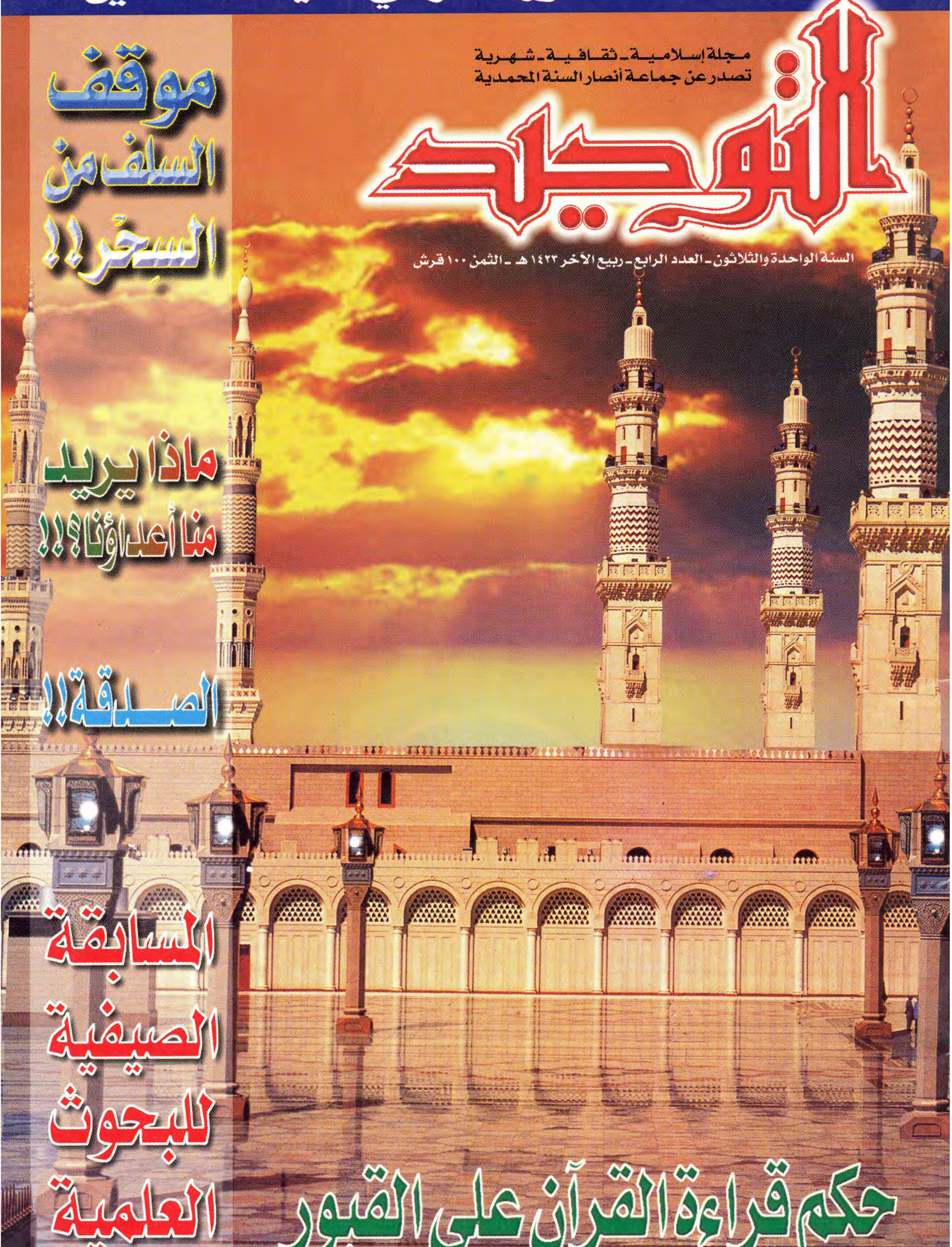

موقف السلف من السِحْر!!

ماذا يريد منا أعداؤنا؟!!

الصدقة!!

المسابقة الصيفية للبحوث العلمية

حكم قراءة القرآن على القبور

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة **محمد صفوت نور الدين**

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

مجدي عرفات

الاشتراك السنوي:
١ - في الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الإسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

في هذا العدد

الافتتاحية : المنظومة الكونية	بقلم الرئيس العام	٢
حديث الشهر : تحقيق التوحيد	المشرف العام	٥
باب التفسير : سورة المجادلة	د. عبد العظيم بدوي	٩
باب السنة : الصدقة	الرئيس العام	١٤
كلمة التحرير : تكاتف محاور الشر في الكيد للمسلمين	رئيس التحرير	١٧
الصهيونية والمؤامرة على فلسطين	د. الوصيف على حزة	٢١
مصطلحات يهودية	عيسى القدومي	٢٤
ماذا يريد منا أعداؤنا؟!	عبد الرزاق السيد عيد	٢٦
نظرات على الإجماع	متولي البراجيلي	٢٩
موقف السلف من السحر والعرافة والكهانة	معاوية محمد هيكل	٣٣
واحة التوحيد	التحرير	٣٦
أقوال واعتقادات خاطئة	د. طلعت زهران	٣٨
الإعلام بسير الأعلام	مجدي عرفات	٤٠
مظاهر الأخوة الإيمانية ومقتضياتها	عبد المحسن العجيمي	٤٣
قضية محسومة	أحمد محمد السعدني	٤٥
أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين ﷺ	جمال عبد الرحمن	٤٨
سوء الظن وخطره على المجتمع	أسامة العوضي	٥١
المسابقة الصيفية للبحوث العلمية	إدارة شئون القرآن	٥٢
ويلٌ للمطففين	صلاح عبد المقصود	٥٣
الفتاوى		٥٤
فتاوى ابن عثيمين		٥٨
أسئلة القراء عن الأحاديث	أبو إسحاق الحويني	٦٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	علي حشيش	٦٤
اقرأ من مكتبة المركز العام	علاء خضر	٦٧
حكم الإسلام في تحديد النسل	بكر محمد إبراهيم	٦٩
من روائع الماضي سعادة الإنسان في العمل بالقرآن	محمد إبراهيم الموجي	٧١

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

المركز العام : القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**

التحرير
٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧
فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار
السنة المحمدية

السلام عليكم

اليقين

إن اليقين بوعد الله تعالى هو الذي يعلو بالمؤمنين فيكونون في الدنيا عبيداً لله تعالى يبذلون المال والوقت والجهد، بل والنفس والدم لمرضاة الله تعالى، والموقن بالوعد وقَّافٌ عند حدود الله، مطيع لشرعه، ممتثل لأمره، مجتنب لنهيه، متباعد عن حرماته، والله سبحانه وعد فقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

الرئيس العام

ثمن النسخة:

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
الرئيس العام Safwat noreldin@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

المنظومة الكونية

بقلم:
الرئيس العام

الحمد لله خلق فسوى وقدر فهدى وسبحانه فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، خلق الخلق ولا يزال لأمرهم مدبرًا لم يعتزل كونه، ولم يكل لأحد ملكه.

هذا، ومن مر على الممالك العامرة والمدن الزاخرة ونظر إلى عمرانها ووديانها والقناطر على الأنهار تمدها بمائها ونظر إلى القصور وجد تاريخًا لملوك رحلوا ولقادة بادوا وانتهوا وبقيت آثارهم شاهدة على أعمالهم، فمن الذي بنى الهرم الأكبر؟ ومَن الذي شيد القناطر ومد الجسور؟ ومَن الذي أقام القصور وبنى المسلات؟ أين الفراعنة؟ أين الجبابرة؟ أين القياصرة والأكاسرة؟!

كل حي إلى موت، وكل موجود إلى فناء إلا الله رب العالمين خلق ولم يعتزل خلقه، ولم يكل إلى أحد إدارة ملكه، بل هو الذي خلق الخلق وخلق أفعالهم، فدقات القلب خلقها الله، وطرف العين من خلق الله، وخطو الرِّجل من خلق الله، خلق اليد وخلق بطشها، وخلق الأصابع وخلق بسطها وقبضها، كل ذلك خلق الله سبحانه بتدبيره وتقديره، وكذلك منه سبحانه الأمر والنهي والتحليل والتحريم: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

كل ما خلقه الله في الأرض للإنسان

والله سبحانه خاطب الناس فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، وجعل ذلك الخلق مسخرًا ومذللاً وميسرًا: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]، ويقول سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ. وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٤].

الكون العابد لله

فالكون كله مخلوق مسخر للإنسان، وكل ما في الكون مأمور بالعبادة (الصلاة والتسبيح والسجود) لله رب العالمين وحده، وألا يُشرك به شيئًا، وقد نهاه الله تعالى عن المعاصي والسيئات: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، وجعل الله تعالى الإنس والجن مأمورين بعبادته وتسبيحه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨]، والملائكة تقوم بالعبادة، فقال سبحانه على لسان ملائكته: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال سبحانه في وصفهم: ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وقالت الملائكة في وصف عبادتهم: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤- ١٦٦]، فالملائكة يعبدون الله في الأرض وفي السماء، وكل شيء في الكون بعد ذلك يعبد الله وحده ويسبحه ويسجد له ويصلي.

انقياد المخلوقات لباريها

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾ [الحج: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [النور: ٤١، ٤٢]، وقال: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩]، وقال: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١]، وقال: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣]، وقال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

فالكون كله علويه وسفليه أوديته وأنهاره، جباله وأشجاره، شموسه وأقماره، نجومه ونباتاته وأزهاره، الإنس والجن والملائكة، الحيوانات العجماء والطيور المغردة والديدان والأحجار، المياه في البحار، والآبار والسحب والأمطار، الليل والنهار، كل شيء يعبده ويوحده ويسجد له ويسبحه، ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ وكثير من الناس كذلك، وكثير من الناس عصى واستحق العذاب بعصيانه، وهذا العذاب الواقع عليه نوعان: العذاب الأكبر: وهو عذاب الآخرة، عذاب الحريق، عذاب النار وبئس المصير، مَن نجا منه فقد فاز، ومَن وقع فيه فقد هلك، وهو عذاب لا طاقة للبشر به ولا للجن ولا الملائكة من أصابه ولو وقتًا قليلاً فقد أصابه عذاب شديدٌ، وأهل النار الذين كتب عليهم الخلود فيها لا يموتون

فيستريحون ولا يخرجون منها وإذا استجاروا لا يجارون، وإذا استغاثوا لا يغاثون.

والعذاب الأدنى: هو عذاب الدنيا، يجعله الله للكافرين في الدنيا ثم يكون العذاب الأكبر في الآخرة، وذلك أن الكون كله في منظومة واحدة، يسبح ويعبد ويصلي ويسجد لربه خالقه وبارئه طاعة لأمره القدري كما خلقه سبحانه وقدَّره، فكل مستجيب للَّه في هذه المنظومة الكونية لا يرى شقاءً في حياته، أما الذي أعطي الاختيار فعصى ربه في الأوامر الاختيارية، فإن الله يملأ قلبه شقاءً يبحث عن أسباب صرفه فلا يجده إلا أن يطيع الله سبحانه؛ لذا قال عز وجل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

الطعام والشراب يسبح الله!!

الطعام والشراب يسبح الله تعالى مع المسبحين، فإذا دخل إلى جوف المسبح، دخل في توافق جميل، فسعد بطعامه وشرابه، وإن كان بسيطًا يسيرًا، أما إن دخل إلى جوف العصاة والمذنبين التاركين لشرع رب العالمين، فإنه لا يتوافق معهم لأنه في عكس المسيرة وعمله يضاد النظام المسبح لربه الطائع له؛ لذا فإنه يجد في طعامه شقاءً رغم لذته وكثرته ووفرته.

يقول ابن كثير: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي: من خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: ضنكًا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة.

وعن ابن عباس قال: كلما أعطيته عبدًا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة. إن قومًا ضُلالاً أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك أنهم كانوا يرون أن اللَّه ليس مخلفًا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك. (انتهى).

فاتباع هدي الله بالعمل بشرعه أمان من الضلال والشقاء، والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقًا في المتاع لا يرى في متاعه الحرام إلا غصة في صدره لا تفارقه وكآبة في قلبه لاَ تتزحزح عنه، ما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط قلبه وتشتد به الحيرة، فلا يتوازن في خطاه، الشقاء قرينه والتخبط والضنك ملازم له ما دام للمعصية مقارفًا.

المؤمنُ متبعٌ لهدى الله!!

والمؤمن متبع لهدى الله يتوافق مع سائر أجزاء الكون فهو مطمئن النفس لأنه في رحاب الله يشعر أن كل نشقة هواء تدخل إلى جوفه يوافق تسبيحها تسبيحه وكل جرعة ماء أو شراب بشربها فهي تسبح بحمده مع تسبيحه فيجد فيها اللذة والراحة، وكذلك المطعم والمركب والمسكن.

فما أسعد المؤمن الطائع بهذا الكون المسبح، وما أشقى المنافق والكافر والفاسق وإن كانت مظاهر السعادة تغمره. فتوبوا إلى الله عباد الله، واعملوا بشرعه تنالوا رضاه، فتسعد نفوسكم وتنقلبون إليه سعداء في الآخرة.

والله من وراء القصد.

حديث الشهر

تحقيق التوحيد

بقلم: د. جمال المراكبي

التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدًا أي جعل الشيء واحدًا، وهو لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى المُوَحَدُ، وإثباته له وحده، ولهذا كانت كلمة التوحيد لا إله إلا الله متضمنةً للنفي والإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله عز وجل، وإثباتها لله وحده، وذلك لأن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم.

فلو قلت: محمد مجتهد، فقد أثبت له الاجتهاد، ولكنك لم تفرده وتوحده به؛ لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا الاجتهاد.

ولو قلت: لا مجتهد، فقد نفيت نفيًا محضًا ولم تثبت الاجتهاد لأحد. ولكن لو قلت: لا مجتهد إلا محمد، فقد أفردت محمدًا بالاجتهاد، ونفيت الاجتهاد عمن سواه، وهذا هو تحقيق التوحيد، فلا يكون توحيدًا إلا بإثبات التفرد ولا يتحقق ذلك إلا إذا تضمن نفيًا وإثباتًا.

والتوحيد لا يكون إلا لله عز وجل لأنه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا شريك له ولا وزير ولا معين، ولا شفيع يشفع عنده إلا بإذنه سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

أما غيره سبحانه فلا يمكن توحيده في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن نظراءه وأمثاله كثيرون، وقد جعل الله خلقه أزواجًا، وجعل بعضهم في حاجة بعض، فـ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]. وسبحان من جعل التفرد صفة خالصة له: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

أقسام التوحيد

والتوحيد قسمان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري.

وتوحيد الطلب والقصد، وهو التوحيد الإرادي الطلبي، والقسمان يتضمنان الجواب عن سؤال واحد هو: من تعبد؟

والجواب: أعبدُ الله وحده لا شريك له رب العالمين ورب كل شيء ومليكه. وهو السؤال الذي يُسألُه العبد في قبره، حيث يقول له الملكان: من ربك؟

ولا يُحسن الجواب عن هذا السؤال إلا من عرف الله عز وجل بالتوحيد، ولم يشرك معه غيره في شيء من العبادة.

ومعرفة الله عز وجل تكون بشيئين بالنظر في آياته الكونية، وآياته الشرعية المقروءة في كتابه وفيما أوحاه إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ.

أما الآيات الكونية فهي مخلوقات الله عز وجل الدالة على عظمة خالقها وسعة علمه وتمام قدرته كالسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكل هذه المخلوقات تسجد لخالقها وتسبح بحمده، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨].

ولهذا أمرنا المولى سبحانه أن ننظر في هذه الآيات وأن نعتبر بها: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ١٧- ٢٢].

ونهى المولى تبارك وتعالى عباده عن صرف العبادة لشيء من هذه المخلوقات؛ لأنه لا تجوز العبادة إلا للخالق عز وجل فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، فإذا ثبت أن الله سبحانه هو الرب الخالق الرازق فوجب على الناس أن يعبدوه وحده لا شريك له، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

فائدة

أولاً: توحيد المعرفة، يتضمن أمرين:

١- الإيمان بربوبية الله عز وجل بمعنى أنه المتفرد بالخلق والملك والتدبير.

٢- الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تحريف ولا تعطيل.

ثانيًا: توحيد المعرفة مقدمة لتوحيد القصد والطلب يؤدي إليه، فمن عرف الله حق المعرفة، توجه إليه وحده بالعبادة ولم يشرك معه غيره.

طريقة القرآن في الدعوة إلى التوحيد

كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك كل ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته سبحانه في أمره ونهيه وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته.

تكريم الله لأهل التوحيد

وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده

وطاعته، وما فعل بهم من التأييد في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة في الجنة، وهذا جزاء التوحيد.

وإما خبر عن أهل الشرك الذين فارقوا التوحيد، وما فعل الله بهم من النكال في الدنيا، ومن الخذلان والعذاب في النار في الآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ﴿الْحَمْدُ للّهِ﴾ توحيد، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ توحيد متضمن سؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والبعد عن طريق الذين انحرفوا عن الحق عن علم وإعراض أو عن جهل وضلال، ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، فالتوحيد غير طريق هؤلاء وأولئك.

اقرأ في إثبات الربوبية لله عزَّ وجلَّ وهي تفرده بالخلق والملك والتدبير:

﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ. قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

واقرأ في توحيد الأسماء والصفات:

﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤].

﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

واقرأ في توحيد المعرفة والإثبات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ١-٧].

فإذا كانت الكائنات جميعها تسبح بحمده وتسجد له، وإذا كان سبحانه هو الخالق وهو المالك، خلق السماوات والأرض، وله ملك السماوات والأرض، وهو العليم بذات الصدور وبما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، والعليم بما يكون من أعمال العباد، وهو العزيز الذي لا يغلب، الحكيم الذي لا يكون في خلقه ولا ملكه ولا

شرعه شيء من العبث، بل له الحكمة البالغة، وهو المحيي المميت، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فكيف لا يتوجه الإنسان إليه وحده بالعبادة دون سواه، وهو الذي يدعو الناس إلى عبادته وحده لا شريك له؛ لأنه المستحق للعبادة دون سواه: ﴿ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

ولهذا كانت دعوة الأنبياء والمرسلين:

﴿ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ. أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وكذبوا والله، فإن الله لا يمكن أن يتقرب إليه العبد بعبادة غيره معه وإن زعم أنهم وسيلة ووسطاء، ولهذا قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ. وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١١- ١٨].

دحض شبه المشركين

وأقرأ في دحض شبه المشركين: ﴿ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ. وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]. وفي هذه الآية يقطع الله تعالى الأسباب التي يتعلق بها المشركون، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع.

قطع شجرة الشرك واجتثاثها

أن يكون مالكًا لما يريده عابده، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا عنده، فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا منتقلاً من الأعلى الى الأدنى ,فنفى الملك والشركة والمعاونة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشركين، وهي الشفاعة من بعد إذن الله لمن رضي الله قوله وعمله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونًا لله، ولم يبق الا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب سبحانه. اهـ.

ففي هذه الآية ونظائرها قطع لشجرة الشرك واجتثاثها من أصولها ,وإبطال لكل أساس يتعلق به من يدعو مع الله إلهًا أخر.

الحلقة الأولى

سورة الحشر

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ . وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ . وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:١- ٧].

بقلم الدكتور عبد العظيم بدوي

بين يدي السورة

سمّاها ابن عباس رضي اللَّه عنهما سورة بني النضير؛ لأنها تحدثت عن جلاء بني النضير من مدينة الرسول ﷺ إلى أذرعات بالشام وغيرها.

وقد كان الكفار بعد هجرة الرسول ﷺ ثلاثة أقسام: محاربون - كقريش- وأهل ذمة- كيهود المدينة- وقسم ثالث لم يحارب ولم يعط عهدًا، وإنما وقفوا ينظرون ماذا سيكون من رسول الله ﷺ، وإلى ماذا ينتهي أَمْرُه، وكان هذا القسم فريقين: فريقٌ ظاهرُه على رسول الله ﷺ، وفريقٌ باطنُه مع رسول الله ﷺ.

فوفَّى رسولُ اللَّه ﷺ لأهلِ الذمّة حتى بدت العداوةُ من أفواههم فنبذ إليهم عهدهم، فأجلى بعضهم، وقتل بعضهم، أجلى بني قيْنُقاع وبني النضير، وقتل بني قريظة. وهذه السورةُ سورةُ الحشر تحكي قصة جلاء بني النضير، ولذا سمّاها ترجمان القرآن ابن عباس رضي اللَّه عنهما سورة بني النضير.

حقد اليهود على النبي ﷺ

وكان من شأنهم أنه لما انتصر رسولُ اللَّه ﷺ في بدرٍ قالت اليهود: هذا هو النبيّ الذي نجدُ نعتَه في التوراة،

هذا هو النبي الذي لا تنكّس له راية، فلما كان يومُ أُحُدٍ نُكِسُوا على رءوسهم فقالوا: ليس هو. وخرج منهم كعبٌ بنُ الأشرف في أربعين راكبًا من اليهود حتى أتوا مكة، فحالفوا المشركين، وحرضُوهم على قتال رسول الله ﷺ، فسألتهم قريش: أنحنُ خيرٌ أم محمدٌ؟ نحنُ نطعمُ الطعام، ونسقي الحجيجَ، ونخدمُ بيتَ اللَّه؟ فقالوا: أنتم أهدى سبيلاً، وفي ذلك أنزل الله تعالى قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١، ٥٢]. ثم رجعوا إلى المدينة، فأخذ كعبُ بنُ الأشرف يشبِّبُ بنساءِ المسلمين.

قصة قتل زعيمهم كعب بن الاشرف

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَن لي بكعبِ بن الأشرف، فقد آذى اللَّهَ ورسولَه؟» فقال محمدُ بنُ مَسْلَمةَ رضي الله عنه: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتلُه، فقال ﷺ: «فافعلْ إن شئتَ». فذهبَ محمدُ بنُ مسلمة وغاب عن رسول الله ﷺ ثلاثًا، لم يأكل ولم يشرب إلا القوت، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه وسأله: «لِمَ تركتَ الطعامَ والشراب؟» قال: يا رسولَ اللَّه، أعطيتُك عهدًا ولا أدري هل أفي به أم لا. فقال ﷺ: «إنما عليك الجهد، فإن نصر اللَّهُ فذلك ما ترجو، وإن عَجزْتَ فلا حرج عليك». فكلّم محمدُ بنُ مسلمة نفرًا من أصحابه فخرجوا معه، منهم أبو نائلة أخٌ لكعب بن الأشرف من الرّضاعة. فأتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا أن نقولَ شيئًا، أي لا بدّ أن نخدع الرجلَ بأن ننال منك ونقول فيك. فقال ﷺ: «قولوا ما أردتم فأنتم في حل»، ثم خرج معهم الرسول ﷺ إلى البقيع، ثم قال: «سيروا باسم الله، اللهم أعنهم». ورجع رسول الله ﷺ، وانطلقوا حتى أتوا حِصْنَ كعبِ بن الأشرف، فناداه أبو نائلة فقال: يا كعبَ بنَ الأشرف، فأذن له فدخل عليه، فتناشدا شعرًا، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال أبو نائلة لكعب: إني أُريدُ أنْ أتكلم معك في شيءٍ وأُحبّ أنْ تكتم عنيّ، قال: أفعل. فقال أبو نائلة: لقد كان قدومُ هذا الرجل- يعني النبي ﷺ- بلاءً من البلاء، أصابتنا به المصائبُ، ضاع العيالُ وزهقت الأنفسُ، وقلّ الخيرُ بسبب قدوم هذا الرجل علينا. فانشرح صدرُ عدوِّ اللَّه كعب وقال: أنا ابنُ الأشرف، ألم أقلْ لك يا أبا نائلة إنكم ستصيرون إلى ما صِرْتُم إليه، فقال: يا ابن الأشرف، إني أريدُ أن تبيعنا طعامًا ونرهنُك ونوثق لك. فقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: معاذ الله، أنرهنك نساءنا وأنت أجملُ رجال العرب لا تمتنع عنك النساء لجمالك! قال: أترهنوني أولادكم؟ قال: معاذ اللَّه، أنرهنك أولادنا، حتى إذا كَبِرُوا عُيِّرُوا بآبائهم وفقرهم! قال: فماذا ترهنوني؟ قال: نعطيك سلاحنا، وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح إذا رآه، قال: نعم، إنّ في السلاح لكفاية، قال له أبو نائلة: إنّ لي أصحابًا على مثل ما أنا عليه، فأنا آتي بهم إليك، قال: نعم، فعاد أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم بما كان، وقال: هاتوا أسلحتكم، ثم رجع أبو نائلة مع أصحابه إلى كعبٍ في الليل، فنادى: يا كعبَ بنَ الأشرف، وكان حديثَ عهدٍ بعُرْس، فوثب في ملحفته فأخذت زوجتُه بطرفها وقالت: إنك امرؤٌ مُحَارَب، ومثلُك لا يخرج في مثل هذه الساعة، فقال: إنه أبو نائلة أخي، لو رآني نائمًا أيقظني، ثم قال: لو يُدعى الفتى لطعنةٍ لأجاب. قالت: إني أشمّ في صوته رائحةَ الدم، فلا تخرج، فلم يردّ عليها، فخرج، فكلّمه أبو نائلة، ثم قال: هل لك يا ابنَ الأشرف أن تأتي شِعْبَ العجوز (وهو شِعبٌ بالمدينة) نقضي فيه بقية ليلتنا؟ قال: لا بأس، فساروا جميعًا، فبينما

أبو نائلة يكلّم كعبًا إذ أدخلَ يده في رأسه وقال: ما شاء اللَّه، ما شممتُ قبلَ الليلة عطْرًا أطيبَ من هذا العطر قطّ، ثم مشى، ثم عاد فأدخل يده في رأسه وشمَّها، ثم قال: ما شممتُ عطرًا أطيبَ من هذا العطر قبل الليلة قط، فسرَّ بذلك كعبٌ، وبعد ساعة أدخل أبو نائلة يده في رأسه وأمسك به، ثم قال: اضربوا عدوّ اللَّه، اقتلوا عدوّ اللَّه، فاجتمع عليه أصحابُ رسول الله ﷺ يضربونه، فاختلفت عليه سيوفُهم، فلم تعمل فيه شيئًا. قال أبو نائلة: فتذكّرتُ مِـغْوَلاً (سكينًا) في طرف سيفي، فأخذتها فوضعتها في ثُنّته حتى انتهت إلى عانته، وكان عدوّ اللَّه قد صاح صيحةً لم يبق بيتٌ من بيوت اليهود إلا وأُوقدت فيه نارًا (يعني استيقظوا كلهم) قال: فتركناه، وأسرعنا الرجوع، وكان أحدهم أصابته سيوف أصحابه خطأً فتأخرَ عنهم، فانتظروه في شعب حتى أدركهم، فحملوه حتى أَتَوْا به رسول الله ﷺ وهو قائم يصلّي، فبشروه بقتل عدو اللَّه، فبصق رسولُ اللَّه ﷺ على الجرح، فما اشتكى منه بعد، فأصبح يهودُ يخافون المسلمين.

وكان ذهابُ كعب بن الأشرف إلى مكة وتحريضه أهلها على قتال النبي ﷺ أولَ خيانةٍ بدأت منهم.

قصة بئر معونة

ثم حدث بعد ذلك أنّ أبا البراء- رجل من العرب- جاء إلى رسول الله ﷺ فعرض رسولُ اللَّه ﷺ عليه الإسلام، فلم يُسْلِمْ ولم يَبْعُدْ، وقال: يا محمد، لو بعثت معي نفرًا من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، فقال ﷺ: «إني أخاف عليهم العرب». فقال أبو البراء: ابْعثهم في جواري، فاختار رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من خيرة أصحابه، كانوا يسمون القرّاء، كانوا يحتطبون بالنهار، ويقرءون القرآن في صلاة الليل، فأرسلهم مع أبي البراء، وأمّرَ عليهم المنذر بن عمرو، حتى إذا أتوا بئرًا يقال لها بئر معونة نزلوا عندها، ثم أرسلوا أحدهم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوّ اللَّه عامر بن الطفيل فلم يقبل كتابَ رسول الله وعدا على حامل الكتاب فقتله، ثم استصرخ بني عامر على هؤلاء النفر، فقالوا: لا والله لا نخفر أبا البراء في ذمته، فاستصرخ عليهم جماعة من بني سليم: عصية ورعل وذكْوان فأجابوه، فأتوا القرّاء فأحاطوا بهم، فلمّا رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قُتلوا أجمعون إلا رجلاً واحدًا حُمل من بين الجرحى وفيه حياة، فبارك الله في عمره وعاش حتى استُشْهِدَ في غزوة الخندق، ونزل في هؤلاء الشهداء قرآن ثم رفع: «بلّغوا عنّا قومَنا، أنّا لقينا ربنا، فَرَضِيَ عنّا وأرضانا». وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجلٌ من الأنصار، فلم يرعْهُما إلاّ الطيرُ تحومُ حولَ هذا الوادي، فأتياه فوجدا القومَ قتلى، فقال الأنصاري لعمرو: ما رأيُك؟ فقال عمرو: أرى أن نرجعَ إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني والله ما كنت لأترك مكانًا قُتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ ليخبرني عنه الرجال، ثم أخذ سيفَه، وتقدّم نحو المشركين فقاتلهم حتى قتلوه، وأسَرُوا عمرو بن أمية، فلما أسروه سأله عدو اللَّه عامرُ: ممن أنت؟ قال: من بني فلان، فجذ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمّه، فانطلق عمرو راجعًا إلى المدينة، فنزل تحت شجرة، فنزل عنده رجلان، فسألهما: من أين أنتما؟ قالا: من بني عامر، فتركهما حتى ناما ثم قتلهما، وهو يظنّ أنه ثأر لأصحابه، وكان هذان العامريان قد أخذا عهدًا من رسول الله ﷺ، فلما أتى عمرو رسول الله ﷺ أخبره خبره، فقال ﷺ: «لقد قتلتَ رجلين لأدينهما».

محاولة فاشلة لاغتيال النبي

ثم خرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى بني النضير يستعينهم على دية هذين العامريين

وكان بين بني النضير وبني عامر حلفٌ وعَهْدٌ. فقالوا: نعم يا أبا القاسم، ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ [طه: ٦٢]، قالوا: من يصعد إلى السطح فيلقي هذه الرَّحَى على الرجل فنخلص منه؟ فانبعث لذلك أشقاهم، فكان الوحيُ أسرع إلى رسول الله ﷺ وكأنما نهض لحاجة، ثم عاد إلى المدينة، فلما تأخَّر خرج مَنْ كان معه مِنْ أصحابه في طلبه وقد خافوا عليه، فقابلوا رجلاً فسألوه: هل رأيت رسولَ اللَّه ﷺ؟ قال: إني رأيتُه داخلاً المدينة، فتبعوه حتى أدركوه، فقالوا: لِمَ قُمتَ يا رسولَ الله؟ قال: لقد غَدَرَ القوم، وأخبرهم بما عَزَمتْ عليه يهود، ثم أرسل إليهم رسولُ اللَّه ﷺ محمدَ بن مسلمة: أن لا تساكنوني في بلدي، وقد فعلتم ما فعلتم، وإني ممهلكم عشرًا، فمن رأيتُه بعد ذلك ضربتُ عنقه، فتحصنوا بحصونهم وعَزَمُوا على عدم الخروج، فحاصرهم الرسولُ ﷺ ستَّ ليالٍ حتى همّوا بالنزول، فأرسل إليهم عدوُّ اللَّهِ ابنُ أُبيّ أن اثبتُوا ولا تخرجُوا من دياركم، فنحن معكم إن قُوتلْتم قاتلنا، وإن أُخرجْتم لنخرجنّ معكم، فثبت أعداءُ اللَّه في حصونهم، وظنّوا أنها مانعتهم، وأن إخوانهم المنافقين ناصروهم، فألقى اللَّه في قلوبهم الرعب، فطلبوا مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ الصلح.

عاقبة مكر اليهود

فصالحهم على أن يخرجوا من المدينة ولا يأخذوا من أموالهم شيئًا إلا ما حملت الإبل غير السلاح، فنزلوا وحملوا ما استطاعوا، فكان الرجلُ منهم يهدم بيتَه عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به... فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت له خاصة، يضعها حيث يشاء، وهكذا تمّ جلاءَ بني النضير عن المدينة وأخرجوا منها إلى الشام، فكان إخراجهم إليها أوّل الحشر، والحشر الثاني يومَ القيامة، يُحْشَر الناسُ جميعًا إلى الشام، كما كان ابنُ عباس رضي اللَّه عنهما يقول: من لم يصدّق أن أرضَ الشام هي أرضُ المحشر فليقرأ قول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢].

وصدق ابن عباس رضي اللَّه عنه، فلقد شهد لصحة فهمه الرسولُ ﷺ فقال: «أرض الشام هي أرض المحشر».

تفسير الآيات

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ تسبيحًا حقيقيًا بلسان المقال وليس بلسان الحال، كما قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يُقهر ولا يُغلب، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أقواله وأفعاله، وأوامره ونواهيه وقضائه.

﴿ هُوَ ﴾ وحده لا أنتم ﴿ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ وهم يهود بني النضير، ﴿ مِّن دِيَارِهِمْ ﴾ إلى الشام ﴿ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾، والحشر الثاني يوم القيامة، ﴿ مَا ظَنَنتُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أن يَخْرُجُواْ ﴾ وقد رأيتموهم تحصّنوا بحصونهم، ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾، فلن يصيبهم بأسٌ، ولن يمكّن اللَّهُ المؤمنين من اقتحام هذه الحصون، ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾، وهو أوّلُ عوامل الهزيمة، فطلبوا الصلح ونزلوا، فما أغنت عنهم حصونهم من اللَّه شيئًا، فجعلوا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾، فكان الرجلُ منهم يهدمُ بيتَه عن إيجافِ بابِه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فهذا تخريبهم بيوتهم بأيديهم، وقال مقاتل: كان رسولُ اللَّه ﷺ يقاتلهم، فإذا ظهر على دَرْبٍ أَوْدَارٍ هدم

حيطانَها ليتسع المكان، فهذا تخريب بيوتهم بأيدي المؤمنين، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ من يهود بني قريظةَ ومن المشركين واحذروا أن يحلّ بكم مثلُ ما حلّ ببني النضير.

﴿ وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ أي: لولا أنّ اللّه قدّر عليهم الجلاء لعذّبهم بالقتل والسَّبي، ولكنّ اللّه دفع هذا العذاب عنهم بالجلاء، وأما عذاب الآخرة فـ ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور :٨] ، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾، فـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي: خالفوا اللّهَ ورسولَه، وكذّبوا بما أنزل اللّهُ على رسوله، ﴿ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وكان الرسولُ ﷺ حين حاصر يهودَ أمر أصحابَه أن يقطعوا النخلَ ويحرقوه تخويفًا لليهود، واستنزالاً لهم، فلما رأوهم يفعلون هذا قالوا: يا محمد، قد كنتَ تنهى عن الفساد في الأرض، فما بالُ قطع النخيل وتحريقه؟! فخاف أصحابُ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]، قالوا: لِمَ لَمْ نقطعه كلّه أو نتركه كلّه، فنزلت الآية: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فلا جناح عليكم فيما قطعتم ولا فيما تركتم، وإنما أَذِنَ اللّهُ لكم فيما قطعتموه، ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

ولقد آثر رسولُ اللّه ﷺ المهاجرين بما أخذه من أموال بني النضير، ولم يعطِ الأنصارَ منه شيئًا، إلا رجلين أو ثلاثة، شكوا فقرًا فأعطاهم رسولُ اللّه ﷺ، فنزلت الآية: ﴿وَمَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فالأموال التي تؤخذ من الكفار نوعان: فَيْءٌ وغنيمةٌ، فالغنيمةُ هي ما يُؤْخذُ من الكفّار من أموال بعد قتال، وقد بيّن الله حكمها في سورة الأنفال، فقال: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ...﴾ الآية [الأنفال: ٤١]. والفَيءُ هو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال، وقد بيّن اللّه حكمه فقال: ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وذلك لـ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾، أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلةً يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منها شيئًا إلى الفقراء، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من المال، ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. قال العلماء: هذه الآية نزلت في الفيء، ولكنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيكون المعنى: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، ولذا جاء عن ابن مسعود رضي اللّه عنه أنه قال: لعن اللّهُ الواشماتِ والمستوشماتِ، والمتنمصّات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق اللّه عز وجل، فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: بلغني أنك قلت كيت وكيت، فقال: وما لي لا أَلْعَنُ مَنْ لعنَ رسولُ اللّه ﷺ وفي كتاب اللّه تعالى، فقالت: إني لأقرأ ما بين لَوْحَيْه فما وجدتُه. قال: إن كنتِ قَرأتيه فقد وجديته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. قالت بلى. قال: فإن رسولَ الله ﷺ نهى عنه. قالت: إني لأظنّ أهلك يفعلونه. قال :اذهبي فانظري. فذهبت فلم تر من حاجتها شيئًا. فجاءت فقالت: ما رأيتُ شيئًا، قال: لو كان كذا لم تجامعنا. (أي لم تسكن معنا). متفق عليه.

﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: اتقوه في امتثال أوامره، وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

بقلم: الرئيس العام

الصدقة

أخرج البخاري ومسلم عن زينب امرأة عبد الله رضي الله عنهما قالت: كنت في المسجد، فرأيت النبي ﷺ، فقال: «تصدقن ولو من حليكن». وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، قال: فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة، فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ، فانطلقت إلى النبي ﷺ، فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال، فقلنا: سل النبي ﷺ أيجزئ عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري، وقلنا: لا تخبر بنا، فدخل فسأله فقال: من هما؟ قال: زينب. قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله. قال: نعم لها أجران؛ أجر القرابة وأجر الصدقة.

وفي حديث لهما عن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم صلى ثم خطب الرجال ثم وعظ النساء فحثهن على الصدقة، ثم انصرف، فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود لتستأذن عليه فقيل: يا رسول الله، هذه زينب، فقال: «أي الزيانب»، فقيل: امرأة ابن مسعود، قال: «نعم، ائذنوا لها»، فأذن لها، قالت: يا نبي الله، إنك أمرت اليوم بالصدقة، وكان عندي حلي لي، فأردت أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي ﷺ: «صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم».

بعض معاني الحديث

الصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن يقال: الصدقة للتطوع والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾، ويقال لما تسامح عنه الإنسان في حقه صدقة نحو قوله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فإنه أجرى ما يسامح به المعسر مجرى الصدقة، وعلى هذا

قوله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾.

العطية تمليك بلا عوض، فإن كانت بقصد الثواب الأخروي فهي صدقة، وإن كانت بقصد الإكرام فهي هدية، وإن كانت بقصد المواصلة والود فهي هبة، وإن كانت بقصد أخذ ما ليس له فيه حق فهي رشوة.

العارية: إباحة أو تملك منفعة عين مع بقاء العين لصاحبها بشروط مخصوصة، فالعارية تمليك المنفعة مع بقاء ملكية العين لصاحبها، والصدقة تمليك العين ومنفعتها.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق، قال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني، فأتى فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني: فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله».

ورواية مسلم قد ذكرت الزانية ثم الغني ثم السارق، وجاء فيها: «فأتى فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت».

والحديث في كتاب الزكاة في كل من البخاري ومسلم والنسائي، في البخاري باب: إذا تصدق على غني وهو لا يعلمه، وفي النسائي باب: إذا أعطاها غنيًا وهو لا يشعر، وعند مسلم باب: ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها.

قال ابن بطال: عند كافة العلماء أن صدقة السر في التطوع أفضل من العلانية وتأولوا قوله عليه السلام: «فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» أن المراد بذلك صدقة التطوع. وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ الآية. قال: جعل الله تعالى صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا، وجعل صدقة الفرض علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفًا، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها. (انتهى).

ما يستفاد من الحديث؟!

-في الحديث أن نية الصدقة إذا كانت صالحة قبلت صدقته ولو لم تقع الموقع، واختلف الفقهاء في الإجزاء إذا كان ذلك في زكاة الفرض. قال ابن حجر: ولا دلالة في الحديث على الإجزاء ولا على المنع، ومن ثم أورد المصنف الترجمة بلفظ الاستفهام ولم يجزم بالحكم.

-وفي الحديث تفضيل صدقة السر، وفضل الإخلاص واستحباب إعادة الصدقة إذا لم تقع الموقع.

فضل صدقة السر

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ﴾.
قال ابن كثير: فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية.

والحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...» ذكر منهم: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه». وفي الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب».

أوقات وأماكن الصدقة؟!

الصدقة مستحبة ويزداد استحبابها في رمضان وسائر الأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد وفي الغزو وعند شدة

الحاجة من المسلمين في الحج وفي السفر وعند المرض وعند الكسوف والخسوف والزلازل وبمكة والمدينة. ويجب أن يكون المتصدق عاقلاً مميزًا غير محجور عليه بسفه أو غيره، وأن يكون مالكًا للمال المتصدق به أو وكيلاً عنه.

التصدق على ذوي القرابة والأزواج!!

لا خلاف بين الفقهاء في جواز التصدق على الأقرباء والأزواج صدقة التطوع، بل صرح بعضهم بأنه يسن التصدق عليهم ولهم أخذها ولو كانوا ممن تجب نفقته على المتصدق. فعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة».

وقال ﷺ: «الصدقة على المسلمين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة». قال الشافعية: دفع الصدقة للقريب أقرب فأقرب رحمًا ولو كان ممن تجب عليه نفقته أفضل من دفعها لغير القريب وللقريب غير الأقرب للحديث المتقدم ولخبر الصحيحين: أن امرأتين أتيا رسول الله ﷺ فقالتا لبلال: سل لنا النبي ﷺ: هل يجزئ أن نتصدق على أزواجنا ويتامى في حجورنا؟ فقال: «نعم، لهما أجران؛ أجر القرابة، وأجر الصدقة».

هذا، وقد رتب الشافعية من يفضل عليهم الصدقة، فقالوا: هي في الأقرب فالأقرب وفي الأشد منهم عداوة أفضل منها في غيره. وذلك ليتألف قلبه. ولما فيه من مجانبة الرياء وكسر النفس، وألحق بهم الأزواج من الذكور والإناث، ثم الرحم غير المحرم كأولاد العم والخال، ثم في الأقرب فالأقرب رضاعًا ثم مصاهرة ثم ولاء، ثم جوارًا وقدم الجار الأجنبي على قريب بعيد عن دار المتصدق بحيث لا تنقل إليه الزكاة ولو كان ببادية.

وليس في تفضيل صدقة العلانية على السر ولا تفضيل صدقة السر على العلانية حديث صحيح، ولكنه الإجماع الثابت، فأما صدقة النفل فالقرآن ورد مصرحًا بأنها في السر أفضل منها في الجهر، بيد أن علماءنا قالوا: إن هذا على الغالب مخرجه، والتحقيق فيه أن الحال في الصدقة تختلف بحال المعطي لها والمعطى إياها والناس الشاهدين لها، أما المعطي فله فيها فائدة أظنها السنة وثواب القدوة. قلت: هذا لمن قويت حاله وحسنت نيته وأمن على نفسه الرياء وأما من ضعف عن هذه المرتبة فالسر له أفضل، وأما المعطى إياها فإن السر له أسلم من احتقار الناس له، أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغني عنها وترك التعفف، وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاستغناء ولهم فيها تحريك القلوب إلى الصدقة لكن هذا اليوم قليل.

وقال العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره. فإذا أعجلته هنيته وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته.

قال بعض الشعراء، فأحسن:

زاد معروفك عندي عظيمًا
أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته
وهو عند الناس مشهور خطير

وقال سهل بن هارون:

ضل إذا جئته يومًا لتسأله
أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها
إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

وفي الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - ذكر منهم - : رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه». ولحديث: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب».

والله من وراء القصد.

كلمة التحرير

تكاتف محاور الشر في الكيد للمسلمين!!

بقلم : رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد...،

فلعل المسلمين مع الأحداث المتأخرة هم أكثر الناس تألما، وأوسعهم جراحاً، ولعل أرضهم وديارهم وأموالهم هي التي يستنسر بها البغات، وتستأسد الحُمرُ والمسلمون مع ذلك يتجرعون هذه الجراحات في صياصيهم وهم لايكادون يسيغونها، ويحملون معها أثقالاً إلى أثقالهم، إنهم يُدَعُّون إلى الإستكانة والذل دَّعاً، وتضطرهم مضارب الغالبين إلى أن يعترفوا بأن حقهم باطل، وباطل غيرهم حق.

والمتأمل في الضربات التي تكال للمسلمين في كل مكان، وضعفهم الحثيث وإستكانتهم المستحوذة عليهم أمام أعدائهم، يجد أنها لم تكن بدعاً من الأمر ولا هي نتائج بلا مقدمات، ولم تك قط قد قفزت هكذا طفرة دونما سبب وإنما هي ثمرة خلل وفتوق في ميدان الأمة الإسلامية، وتقصير ملحوظ تجاه خالقها ورسولها ودينها، وأعداء الإسلام لايتوانون لحظة واحدة في الكيل والتدبير للإسلام والمسلمين، فبالأمس القريب كان زعيم محور الشر في العالم في جولة يستجمع فيها قوى الشر في العالم أجمع من حوله ويدبر ويتآمر... ويتعاهد مع من كانوا بالأمس العدو الأول لهم ويجمع الموافقات مشعلاً نار الحرب بين الهند وباكستان ومشجعاً الهند على كسر شوكة باكستان.... وتجييش الجيوش وأخذ الموافقات لضرب العراق... كل ذلك ومذابح شارون على أشدها، وتدمير الأخضر واليابس في فلسطين بعد أن سكت الجميع، وخيم الصمت على العالم كله وأصبحت ردود الأفعال كامنة ولكن الله أكبر من كيدهم فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم!!

التواطؤ اليهودي والغربي مع الهند!!

وكما أن كل مايحدث ومايقع في العالم كله هو سيناريوهات قد تم وضعها ومع اللغط الشديد الذي يدور في العالم كله عن أحداث سبتمبر في أمريكا والشكوك التي أصحبت تتزايد تنبىء بأن اليهود والأمريكان كانوا وراء تلك الأحداث... ومانشر في الآونة الأخيرة خول علم الإدارة الأمريكية بوقوع الأحداث قبل حدوثها بفترة.. وأن بعض الأجهزة الأمنية قد حذرت الإدارة الأمريكية« أقصد إدارة محور الشر العالمي عن وقوع التفجيرات دون أن تحرك ساكناً ليثير كثيرًا من الشكوك والتساؤلات!

نجد على الجانب الآخْر في نفس المحور وفي جزء آخر من نفس السيناريو التأييد اليهودي والأمريكي للهند مما يوحي بأن هناك خطة مدبرة لكسر شوكة باكستان النووية. والقضاء على الجهاد والإسلامي في كشمير ضد القوات الهندوسية. واذ إستطلعنا ميزان القوى بين الهند وباكستان فإننا نجده كالتالي!.

الجيش العامل في الهند ١٣٠٣٠٠٠ جندي، وفي باكستان ٦١٢٠٠٠ جندي.

قوات الإحتياط في الهند ٥٣٥٠٠٠ جندي، وفي باكستان ٥١٣٠٠٠ جندي.

الأسلحة الاستراتيجية في الهند ٦٠ رأساً نووية، وفي باكستان ٢٥ رأساً نووية.

الأسلحة التقليدية في الهند ١٠٦٨ طائرة، في باكستان ٤١٠ طائرة.

في الهند ١٣٢ مروحية، وفي باكستان ٣٤ مروحية.

في الهند ١٩٠ غواصة، ....

علامات الاستفهام في أنفسنا!!

ومع كل ما يحدث وما يكاد في السر والعلانية ضد المسلمين فإننا نجد الكثير منا يتساءل إثر كل بلية تحل بدار الإسلام: ما السبب؟ وكيف؟ تكثر كل صور الاستفهام في مسامعنا حينًا بعد آخر.

وإن ما أعطانا الله من صلة بكتابه العزيز مما يذكر بسؤال مماثل للرعيل الأول فى أزمة هى من أشد الأزمات التى حلت بهم ألا وهي هزيمتهم في معركة أحد، يندبون حالهم، ومن ثم يتساءلون فيقول الله عنهم «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟».، آل عمران ١٦٥» فيجيبهم الله بخمس كلمات لم ينسب ولا في كلمة واحدة سبب الهزيمة إلى كثرة ولا إلى عدة، ولا إلى تحرُّف في القتال وإنما قال لهم بصريح العبارة «قل هو من عند أنفسكم».

وتقع الهزائم ليستيقظ الناس وتتوالى الضربات فتحل المحاسبة للنفس، ويتضح مثل هذا بما في قوله: ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا، وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ﴾. آل عمران ١٦٦، ١٦٧. وعندما تقصر الأمة وتفرط فعليها أن تقبل النتيجة المرة. إن على رأس الضعف الأصيل البعد عن تشخيص الأحداث بصورتها الحقيقية مع الإكتفاء بمجرد التلاوم وإلقاء التبعة على الغير، فعامة الناس يلقون اللائمة على العلماء والمصلحين والمثقفين، وهؤلاء بدورهم يلقون باللائمة على الساسة والقادة الآخرين. وما القادة والساسة والعلماء والمصلحون إلا جزء من كل، ولا إستقلال في اللوم لصنف دون آخر، وإلا كان جرماً

وإستكباراً وخروجاً عن الواقعية فرسول الله ﷺ يقول «كلكم راع .وكل راع مسئول عن رعيته».

إيقاظ الأمة...وشحذ الهمم!!

إن ما يجري من حولنا من أحداث عظام يجعلنا نوقن بأن الأزمات المزمنة التي تقع أمام أعيننا لا بد من استيعابها وتوظيف دروسها لإعادة الكَرة والانطلاق من جديد لإيقاظ الأمة من حالة الهوان والضياع، وضعف الإيمان، فالإيمان الراسخ يعطي الإنسان قوة عظيمة، تُثبتهُ على الحق، وتعصمه من نزعات الأهواء، وشبهات الأعداء، ومكائد المنافقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ... ﴾ [يونس: ٩]، وقال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ولن ترتفع هذه الأمة ويعلو شأنها إلا بترسيخ التوحيد والإيمان الخالص بالله تعالى، إيمانًا يشرق نوره في القلوب، ويظهر أثره على الجوارح، ويصبح عقيدة راسخة في النفس رسوخ الجبال الرواسي، ويتطلب ذلك تربية جادة، وحرصًا صادقًا على التمسك بالدين، والعودة إلى الله والإقبال عليه، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إيقاظ العقول...وإحياء البصيرة!!

إنما يحدث للمسلمين في شتى بقاع المعمورة، وما استتبع ذلك من ردود أفعال خمدت وانقشعت مع بقاء الحال على ما هو عليه، والانتقال من وضع سيئ إلى أوضاع أكثر سوءًا تزداد يومًا بعد يوم، ويتضح معها العداء الدفين الذي يكنه صاحب صيحة الحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، مستخدمًا كل ما أوتي من محاولات المكر والدهاء، والزيف والخداع، واضعًا نصب عينيه هدفًا رئيسيًا هو القضاء على الإسلام والمسلمين، إنه اليوم.. وفي زمن سيطر فيه هو وحاشيته من اليهود ومعهم الغرب راحوا يوزعون الأدوار ويعقدون التحالفات الشيطانية مع ألدّ أعداء الأمس، فروسيا الشيوعية تعقد المعاهدات مع رعاة البقر، وتصبح عضوًا في الناتو!! فسبحان الله العظيم!! أعداء الأمس أصبحوا أعضاءً في حلف واحد، ووقع قادة أوربا وروسيا اتفاقًا تاريخيًا أصبحت بمقتضاه روسيا دولة غربية، وبوش المدافع الأول هو وبطانته عن اليهود ومصالحهم في العالم... حتى وإن كان ذلك على حساب مصالح أمريكا وعلاقاتها بدول العالم العربي والإسلامي يضرب عرض الحائط بردود الأفعال التي تقع في أي مكان من دول العالم الإسلامي، وذلك نتاج طبيعي لحالة الضعف والهوان التي عليها المسلمون الآن بكل فئاتهم المختلفة.

ميزان الشرع...وقواعده المحكمة!!

إن الاستسلام لدواعي الغضب والتشنج والانفعال لما يدور من حولنا ليس هو الحل الذي سيوصلنا إلى نهاية ما نحن فيه، ولا بدّ من تحكيم ميزان الشرع وقواعده المحكمة، وتقدير المصالح والمفاسد الآجلة والعاجلة، وعدم الاستسلام لأهواء الأقوياء، وللضغوط الإعلامية والفكرية التي علا صوتها، وراح يفسر النصوص الشرعية بعقلية المنكسر الضعيف.

لقد درجت الآلة الإعلامية الغربية بكل

قنواتها وأشكالها- خاصة في الأحداث الأخيرة- على تزييف الوعي وإثارة اللبس، وإشاعة الشبهات بكل خبث ودهاء، ووقف كثير من الناس حيارى أمام ذلك الطوفان الجارف من التحريف والتزييف، ولقد آن الأوان لأن ننهض بجد لاستنقاذ العقول، وإحياء البصيرة، وإعادة الوعي، تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَكَـذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، فهم جميعًا من صناع الحرب والخيانة.

أوليس عجيبًا أن نبقى نفكر بطريقة تبعد آلاف الأميال عن الواقع الذي نعيشه بعيدًا عن الوسائل العلمية والفكرية الحديثة لاستكشاف مكان الضعف والقوة ورصد خطوات المكر والكيد، واضعين نصب أعيننا تخطي حالة الغيبوبة التي نعاني منها، فقد مضى علينا وقت ونحن منعزلون عن الدنيا، نعيش في زيف رسمه لنا أعداؤنا، آن الأوان أن نعيش على الحقائق كما هي بدون مغالطة، آن الأوان لكي نقف مع أنفسنا وقفة حساب نراجع فيها ما مضى، نرجع إلى ربنا، نتمسك بديننا، ولا ندع لأعدائنا فرصة يخترقون فيها صفوفنا، ويحطمون بها قوتنا، وأن نتماسك ونتراص ونتقي الله ربنا، وصدق رب العزة سبحانه حيث يقول: ﴿وأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ما أحوجنا إلى الدعاء!!

وإذا كان الله جل وعلا قد حث عباده على الدعاء، والتضرع إليه، فإنه قد وعدهم بالإجابة وهو سبحانه لا يخلف وعده، والدعاء من أعظم الأسباب لحصول مقصود الإنسان سواء أكان المراد منه جلب منفعة، أو دفع مضرة، وقد فطر الله الناس على التوجه له والتضرع إليه، ولا أدل على ذلك من أن الكفار كانوا إذا نزل بهم الضر أو وقعوا في محنة اتجهوا إلى الله وأفردوه بالدعاء ولم يشركوا معه في هذه الحالة أحدًا، يقول سبحانه: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد توعد الله سبحانه وتعالى الذين يستكبرون عن الدعاء ويتركونه بالعذاب الأليم يوم القيامة، حيث قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فلا نستهين بالدعاء حتى يفرج الله عنا ما نحن فيه من الكرب، ولنداوم عليه ملتزمين بمقتضياته وآدابه، رافعين أكف الضراعة إلى الله عز وجل راجين أن يهلك الكفار والمشركين والمتآمرين على الإسلام، وفضل الله واسع وكرمه لا يوصف، وعطاؤه لا يحد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الصهيونية
والمؤامرة على فلسطين

بقلم/ د. الوصيف علي حزة

استكمالاً لفصول المؤامرة الصهيونية على فلسطين نقول والله المستعان:

خامسًا: ترويج الادعاءات الصهيونية الدينية والتاريخية حول أحقية اليهود بالقدس وفلسطين.

ومن النصوص التي استندت إليها الدعاية الصهيونية ما جاء في سفر التكوين الاصحاح السابع عشر من خطاب الله لإبراهيم «أنا الله القدير أجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك تكثيرا وتكون أبا لجمهور من الأمم وأجعلك أمما وملوكًا منك يخرجون وأقيم عهدًا بينك وبين نسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا» اهـ.

الصهاينة وأرض الميعاد!!

فاستند الصهاينة إلى هذا النص واعتبروا فلسطين أرض الميعاد وإذا أمعنا النظر في هذا النص وجدنا أنه لم يحدد أحدا بعينه بل ذكر نسل إبراهيم على سبيل العموم ومن المؤكد والثابت أن رسول الله ﷺ من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام جميعا فلماذا يقصر اليهود النص عليهم دون بقية نسل إبراهيم بل الذي يظهر لنا بوضوح أن من اتبع ملة إبراهيم على وجه الحقيقة كان أحق بهذه الأرض فسكنها سليمان ويوشع وداود ثم انحرف اليهود وحرفوا التوراة وكتبوها بأيديهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

وقال تعالى: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾.

وكان مما أخفاه اليهود البشارة بنبوة محمد ﷺ حتى ينكروا على نسل إسماعيل وراثة النبوة ومن ثم وراثة الولاية على هذه الأرض التي وعد الله إبراهيم عليه السلام.

من أحق بإبراهيم؟

قال تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين أمنوا والله ولي المؤمنين...﴾.

إدعاء اليهود بأحقيتهم لإبراهيم!!

وقال تعالى: ﴿ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾.

ولو كان اليهود الصهاينة حقا أولى بإبراهيم ما أرسل الله عز وجل نبيًا بعد ذلك من ذريته من شجرة إسماعيل وإنما بعثه ﷺ لوراثة نبوة إبراهيم ودعوته وأرضه التى وعدها نسله.

ولذلك حتى لو سلمنا بصحة ما جاء بالتوراة فقد ورد فيها خطاب لإبراهيم «وأكثرك تكثيرا وتكون أبا لجمهور من الأمم وأجعلك أمما وملوكًا» بصيغة الجمع ولم

•• عقائد يهودية منشؤها نصوص محرفة

•• القرآن يجزم بأنهم كتبوها بأيديهم

•• وجود اليهود بفلسطين ليس دليل صلاح

يقصد ذلك على بني إسرائيل ولهذا فقد حسم الله قضية وراثة إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

ولقائل أن يقول هل وراثة الصهاينة الآن واحتلالهم لفلسطين دليل صلاح؟ نقول كلا وإنما هو انحراف من المسلمين عن طريق محمد ﷺ وشريعتهم ورفعهم لراية غير رايته فسلط الله عليهم شذاذ الآفاق إخوان القردة والخنازير من قبيل الابتلاء وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه الحاكم وقال على شرط الشيخين: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال لم تدركوهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهرت فيهم الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم وما منعوا زكاة أموالهم إلا أخذوا بالسنن وقلة المؤنة وجور السلطان عليهم، وما نقصوا المكيال والميزان إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم». السلسلة الصحيحة.

والشاهد هنا قوله ﷺ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله ﷺ إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم.

اجتماع اليهود والصهاينة !!

وهذا واقع مشاهد فإن اليهود الصهاينة اجتمعوا من أكثر من ١٠٢ جنسية وبلد حول هذه التوراة المحرفة والتلمود الذي هو من صنع أيديهم وليس من عند الله، والبروتوكولات التي وضعوها للفساد في الأرض فرفعنا نحن في وجوههم رايات القومية والاشتراكية والتقدمية والحق أن الرسول ﷺ بشر بهذه المواجهة، فقال فيما روى مسلم في صحيحه: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله، ورائي يهودي فاقتله إلا الغرقد فإنه من غرس اليهود».

فانظر إلى لغة الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله ولم يقل يا عربي يا مصري يا هندي يا بربري إنما قال يا مسلم يا عبد الله وهذه صفة التزام وعمل بالعبودية لله جل وعلا ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾.

وقد سبق بيان ذلك في سلسلة أسباب النصر الموعود، ولذلك يعي اليهود هذه الحقيقة جيدا ويحرصون على إشاعة الفساد بين المسلمين حتى يؤخروا ظهور عباد الله المسلمين الذين سيخرجونهم من الأرض المقدسة فلسطين وبيت المقدس.

الحقد اليهودى على العرب والمسلمين !!

وهم ينقمون على المنظمات القومية في فلسطين بقيادة عرفات أنها تحالفت مع المجموعات الإسلامية كحماس والجهاد والإسلامي فقاموا بحملتهم التترية البربرية على أهلينا في فلسطين لم يفرقوا بين طفل وشيخ أو امرأة ولكنهم ولغوا في دماء الجميع على نحو ما نرى ونسمع فإلى الله المشتكى.

•• علاقة اليهود بأشجار الغرقد!!

•• سر حقد اليهود على العرب والمسلمين

•• التأييد الإلهي لحزبه دنيا وآخرة!!

ولسائل أن يسأل:

لماذا يحمل اليهود كل هذا الحقد للعرب والمسلمين؟

والجواب هناك دوافع استقوها من نصوص التوراة المحرفة والتلمود الذي وضعوه بأيديهم فقد ألفه الحاخام يهوذا في القرن الثاني بعد الميلاد بعد ١٧ قرنًا من موت موسى وقد وضع يهوذا التلمود بصورته الحالية وبه مصطلحات يونانية ولاتينية مع أن موسى لم يتكلمها قط ويعتبر التلمود المصدر الثاني للتشريع بعد التوراة وقد جاء فيه:

(١) «من يسفك دم غير يهودي فإنما يقدم قربانًا للرب».

(٢) «اليهود بشر لهم إنسانيتهم أما الشعوب الأخرى فهي عبارة عن حيوانات».

(٣) يحل اغتصاب الطفلة غير اليهودية متى بلغت من العمر ثلاث سنوات».

(انظر كتاب مختارات إسلامية ص٧٣)

ولم يقف حبهم وتعطشهم للدماء عند حد سفكه فقط، بل إنهم يحرصون على الحصول على الدم البشري ليعجنوا به الفطير ويأكلوه في عيد الفصح عندهم حسب تعاليم التلمود.

ولقد قاموا بارتكاب جريمة نكراء إبان حكم محمد على لمصر فذبحوا الدكتور ثوما وكان طبيبا نصرانيا ومعاونه إبراهيم عمار وهو مسلم للحصول على دم الفطير (الكنز المرصود - في قواعد التلمود - د. يوسف نصر الله ص١١٥ - ١٢٥) عن هذه الحادثة.

وأما كلمات التوراة التي تحفزهم إلى سفك دماء الآخرين كما ورد فيها «حين تذهب إلى مدينة لكي تحاربها استدع للصلح فإن أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الذي تجده فيها يكون عبيدا لك تسخره في خدمتك. فإن حاربتك ودفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واجعل من نسائها وأطفالها وبهائمها غنيمتك» وفيها أيضا «أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تترك منها نسمة حية».

وفي سفر يشوع «إذا استمر هؤلاء في القتال فعليك بإبادتهم».

(مختارات إسلامية ص١٣٩)

فلا عجب إذًا لما يفعله الخنزير شارون بالمدن الفلسطينية وما ارتكبه من مذبحة صابرا وشاتيلا ومذبحة جنين أحدث مذابحه التي يباركها بوش ثم يدعونا بعد ذلك إلى محبته وعدم كراهيته. سبحان الله.

نداء إلى أمة الإسلام

هذه نصوص محرفة يتمسك بها آل صهيون ويقفون عند حدودها فماذا صنعتم بما معكم من الوحي المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه المحفوظ بحفظ الله له ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فهلا مددتم إلى القرآن يدا جادة وإلى سنة رسوله ﷺ فهما وعملا؟ قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾.

وإلى حكام العرب نذكرهم بقول الله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصطلحات

بقلم / عيسى القدومي

المصطلح اليهودي : التطبيع
المصطلح الصواب : الاستسلام

التطبيع يعني باختصار «تحويل السلوك الطارىء أو الجديد إلى ما يشبه الطبيعى فيصبح جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان»، أي إقامة علاقات تجنح نحو الطبيعي الذي يسود علاقة الناس بحيث تصبح اعتيادية في القبول والتعامل المتبادلين.

ومن خلال مسيرة الصراع مع اليهود نجد أن الكيان اليهودي هو الذي أصر على جعل العلاقات مع العرب تبدو وكأنها طبيعية، حيث طرح استراتيجيات كبرى تطالب بالسلام والتعايش مع اليهود الغاصبين، لضمان بقائهم في المنطقة.

والتطبيع برز كمصطلح واستراتيجية لتذويب العداء مع اليهود وكيانهم المغتصب لأرض فلسطين، ولإجراء عملية تغيير في النفسية العربية والإسلامية وتعديلها لتتواءم وتتعايش وتتقبل الكيان اليهودي كجزء طبيعي مع حفاظ اليهود الصهاينة على مشروعهم العدواني.

وعمل الإعلام اليهودي للوصول بالعقل العربي إلى الاقتناع بأن التعايش مع العدو اليهودي هو المفتاح للأمن والاستقرار والسلام والرخاء، والذي يعني القبول بالكيان اليهودي كدولة مستقلة ذات حدود آمنة يسهل الدفاع عنها، والتسليم بالكيان اليهودي كحقيقة قائمة، والاستسلام لإرادة العدو وخططاته. ولهذا أصبحت مصطلحات السلام والتعايش مع اليهود مصطلحات تتكرر على مسامعنا ويشدو بها الإعلام صباح مساء، وتُعقد لها المؤتمرات والندوات.

والتطبيع أي جعل العلاقات طبيعية وكأن من لم يرتبط بمعاهدات سلام مع اليهود يكون أمره غير طبيعي، فأسموه السلام العادل والشامل، وهذه كلها مصطلحات يحاولون التأثير بها علينا وعلى أدمغتنا بجعلها أمرا واقعا، باعتبار ذلك هو الأقرب للعقلانية. وأصبحوا ينعتون كل من هو رافض للعلاقة والتعايش السلمى مع اليهود بالجهل لأنهم لا يقبلون وجهة نظر الطرف الآخر!!.

المصطلح اليهودي : المطالب الفلسطينية
المصطلح الصواب : الحقوق الفلسطينية

يصف اليهود الحقوق الفلسطينية بأنها مطالب، وهم يريدون بهذا تهوين حقوق أهل فلسطين، ويريدون أيضا التنازل عن الحقوق الفلسطينية الثابتة، فأصبح المعقول غير معقول!!، والمسلمات محل نقاش!!، والحقوق محل نظر!!، وبين الحق والمطلب فروق شاسعة، فالحق ثابت لا يتغير بمقتضى ثوابتنا الشرعية، ولكن المطلب ما هو إلا مجرد رغبة مشروعة كانت أو غير مشروعة، وهي لا تعكس حقًا بالضرورة، إذ يمكن المساومة عليها والتنازل عنها.

فأصبحت بذلك قضية المستوطنات حقًا يهوديًا!!، وأصبحت عودة الفلسطينيين إلى أرضهم ووطنهم مطلبًا فلسطينيًا!!، وأصبحت القدس كعاصمة أبدية حقا يهوديا!!، وحقنا في القدس مطلبًا فيه نظر!!؟ وبعد أن كانت عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم حقًا لا تنازل عنه، أصبحت مطلبًا يمكن استبداله بالتعويض كما اقترح اليهود وأعوانهم بإسقاط هذا الحق، فهم بارعون في تضخيم ما يرغبون في تضخيمه، وتقليل ما يودون التقليل والتهوين من شأنه.

فوضعوا الحقوق والمطالب على قدم المساواة حتى يضيعوا حقوق الفلسطينيين في أرضهم ومقدساتهم وثوابتهم الإسلامية والتاريخية، فأصحبت الحقوق العالمية التي أقرتها منظمات حقوق الإنسان والمواثيق الدولية يستثنى منها الفلسطيني وكأنه خارج دائرة الأحداث، وهذا استغفال صارخ للعقل

يهودية

المسلم والعربي ولحقوقه الثابتة.

المصطلح اليهودي : عرب إسرائيل

المصطلح الصواب : فلسطينيو مناطق الـ٤٨

يطلق اليهود مصطلح عرب إسرائيل للتعريف بالعرب الفلسطينيين الذين بقوا في المناطق التي احتلها اليهود في ١٩٤٨م، لحذف اسم فلسطين من قاموس الإعلام اليهودي الصهيوني ليحل محلها تعبير «إسرائيل»، ولإضفاء صفة الأقلية السكانية للعرب في قرى ومدن فلسطين التي سقطت في عام ١٩٤٨م، وإعطاء تلك المنطقة التركيبة اليهودية، وفي ذلك محاولة للإيحاء بأن العرب الفلسطينيين ليسوا إلا أقلية غير منسجمة، وأن المجتمع الفلسطيني مجموعة من الأقليات القومية والدينية المتنافرة التي لا يجمعها انتماء أو هدف واحد.

وذلك المصطلح من المصطلحات الشائعة التي أطلقها اليهود، وتلقفها إعلامنا العربي والذي مازال يرددها، حيث أغفل العدو الغاصب ذكر عقيدة وهوية هذا الجزء من الشعب الفلسطيني بقصد الغاصب ذكر عقيدة وهوية هذا الجزء من الشعب الفلسطيني بقصد تأكيد أكذوبته الكبرى «أرض بلا شعب» والتى توحي بأن فلسطين بقيت خالية من السكان منذ أن طرد اليهود منها على يد الرومان قبل ألفي عام، ولازالت الدعاية الصهيونية تنكر الوجود الفلسطيني وتتصرف وكأن الشعب الفلسطيني لم يكن موجودًا أصلا.

والصواب أنهم مسلمون وعرب فلسطينيون ولدوا وعاشوا على تلك الأرض المباركة، وجزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني على أرض إسلامية مباركة، وعلاقتهم بذلك الكيان الغاصب أنهم وقعوا تحت احتلاله لأرضهم وفَرَضَ عليهم قوانين جائرة، وتفرقة عنصرية تعكس طبيعة الأخلاق اليهودية في تعاملها مع غير اليهود ولا بد من الإصرار والتأكيد على أنهم عرب مسلمون لهم تاريخهم وارتباطهم على أرض فلسطين.

المصطلح اليهودي : أرض الميعاد

المصطلح الصواب : أرض فلسطين

الأرض الموعودة، أو أرض الميعاد، أو أرض «إسرائيل»، أو أرض المَعَادَ، أسماء يهودية مختلفة لمعنى واحد هو أرض فلسطين.

والأرض الموعودة هي إحدى الحجج التي استخدمها اليهود الصهاينة لدفع اليهود في شتات الأرض للانتقال إلى فلسطين واستعمارها.

ولم يعط اليهود تحديدا رسميا لحدود أرض الميعاد، فعند احتلال أرض فلسطين اكتفى اليهود بإعلان قيام «دولة إسرائيل» في ١٤ / ٥ / ١٩٤٨م، دون أن يرسموا لهذه الأرض حدودًا رسمية، فأصبح الكيان اليهودي الغاصب هو الوحيد في العالم الذي ليس له حدود دولية محددة مع من حوله من الدول.

واستخدم اليهود الصهاينة أسطورة «أرض الميعاد» لتأجيج الحماسة الدينية لدى اليهود للانتقال إلى فلسطين انطلاقا من الادعاءات التوراتية التي حرفتها أيديهم، والتي ترى أن أرض فلسطين ملك لليهود وحدهم، فقد جاء في سفر التكوين (١٥ / ١٨) أن الإله قد قطع مع إبراهيم عهدا قائلا: «لنَسْلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

وهدف اليهود من إطلاق هذا المسمى «أرض الميعاد» لتحاشى استخدام مصطلح أرض فلسطين الذى ينسف ادعاءاتهم من أساسها بما يحمله من دلالات على الوجود الإسلامى في فلسطين. ولحذف اسم فلسطين من قاموس الإعلام الصهيوني لتحل محلها تعبيرات ومصطلحات جديدة لتنشر في العالم أجمع، ولإقناع الشارع العربي والإسلامي بشرعية الوجود اليهودي على أرض فلسطين.

ماذا يريد منا أعداؤنا؟!!

بقلم : عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك يؤتيه مَنْ يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

والصلاة والسلام على صفوة رسله وخاتم أنبيائه المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد: فإن الذي يحدث اليوم من حولنا ليجعل أشدَّ الناس علما يقف متسائلا. لماذا؟

لماذا يختار العرب «السلام» خيارا استراتيچيا بل وتكتيكيا ويصرون على ذلك في كل مناسبة وفي كل اجتماع. بينما لا يريد عدوهم منهم إلا الاستسلام؟ بل الذلِة والهوان (لا قدَّر الله) إلى متى يثق العربُ في أمريكا ويعتبرونها راعية السلام؟ والغريب في الأمر أن العرب كلما أعلنوا عن تمسكهم بخيار السلام، واحترامهم لمواثيق الأمم المتحدة. كلما أمْعَن اليهودَ في البطش والعدوان، وَرَكْلِ مواثيق الأمم المتحدة بل كل الشرعية الدولية بالأقدام.

ومازالت الأحداث قريبة منا بل نعيشُها يوما بيوم وساعة بساعة فكان اجتياح شارونَ وجنودِه لنابلس وجنين وحصار بيت لحم ورام الله، قد جاء مباشرة بعد انتهاء قمة بيروت في أواخر مارس الماضي، وبعد أن أعلن العرب في قمتهم تمسكهم بالسلام وما حدث في نابلس وجنين من قتل وتدمير واعتقال وفساد لا يخفى على أحد، والكل ينظر ويسمع، والعدو يتمادى في صلفه وغروره وعندما انتهت القمة الثلاثية في شرم الشيخ وأكَّدت على خيار السلام في مايو الماضي، قام الحزب الحاكم في إسرائيل وأعلنها صريحة أنه يرفض قيام دولة فلسطينية بأي صورة من الصور والأمر المدهش حقًا أن العدو يُعلن بصراحة عن مخططاته ولا يخفيها فشارون أعلن مرارا وتكرارا أنه عازم على ضرب البنية الأساسية للمقاومة الفلسطينية، وقبل أن يجتاح الضفة الغربية، أعلن عن ذلك ونُشرت الإليات في تحد سافر لكل المقررات والمواثيق، أعلن واستعدَّ ونَفَّذ، ثم توجه إلى غزة وحاصرها، ومازال يحاصر الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة ويتحدى.

وعجزت الأمم المتحدة عن إدانة المجرمين على جرائمهم التي يشيب من هولها الولدان، لأن أمريكا تبارك ما تفعله إسرائيل وبوش يعتبر شارون رجل سلام، ويتهم المستضعفين في الأرض بالإرهاب، ويريد من العرب أن ينعتوهم بالإرهاب(١)، وإلا صار العرب والمسلمون جميعا إرهابيين - في نظر بوش

وشارون ـ ولست أدري هل نجهل ما يريده منا أعداؤنا؟ أم أننا نتعامى عنه؟ ولماذا؟ إن الذي تفعله إسرائيل لا يخفى على أحد. وإن احتضان أمريكا لإسرائيل اقتصاديا وعسكريا وسياسيا لا يخفى على أحد ولأن كثيرًا منا يعمى أو يتعامى عن قصد ويحاول تضليل الناس ولأن كثيرا منا أيضا يحاول إخفاء أبعاد القضية الحقيقية فاسمح لي أخي الكريم أن أوضح بشيء من الاختصار ماذا يريد أعداؤنا؟

أولا: لنبدأ بإسرائيل:

ماذا يريد منا اليهود؟ قبل أن أجيب عن هذا السؤال أنقل لكم بعض ما قاله (شارون) في مقابلة أجراها معه الكاتب اليهودي «أموس أوز» ونشرها في كتاب له بعنوان «أرض إسرائيل» والكتاب بالعبرية، وتُرجم إلى الفرنسية، ونشرت منه جريدة الخليج مقتطفات في عددها الصادر يوم ٢٠/٥/٢٠٠٢م أنقل لكم منه ما يلي:

يقول «شارون» «أريد أن يخشى الناس جنوني، لا أن يعجبوا بأخلاقي، وليطلقوا على «إسرائيل» بعد ذلك الدولة المجنونة وليفهموا أننا دولة وحشية، وأننا نشكّل خطرًا على الدول المحيطة بنا وليس دولة عادية».

ويقول شارون: «أنا نادم بالفعل لأنني لم أُدمِّر مخيَّم عين الحلوة بالكامل، وأحيلُه إلى أنقاض، فقد كان قصْفُ مدينة بيروت رائعًا بالفعل، وهو ما يطلقون عليه اسم مذبحة ـ والكلام ما زال لشارون ـ فيقول: وإني لأتساءل: هل تعتبرون قتل بضع مئات من العرب مذبحة؟ لقد كان من الواجب أن أدخل أنا وجنودي إلى صبرا وشاتيلا، ونقتل سكانها بأيدينا الماهرة المدرَّبة.. وليعلم الجميع في واشنطن وموسكو، ودمشق، والصين. بأن قتل أي من سفرائنا أو قناصلنا أو أي موظف صغير في سفارة سيدفعنا إلى بدء حرب عالمية ثالثة». ويضيف شارون قائلا: «إنَّني على استعداد أن أقتل أكبر عدد من العرب، وأن أحرق الفلسطينين أو أطردهم إنني على استعداد للتطوع بالقيام بما تطلقون عليه «الأعمال القذرة» خدمة لإسرائيل. وإنني أتساءل: «لو أن اليهود قتلوا ستة ملايين من العرب، فماذا سيحدث؟ طبعًا، ستخصص كتب التاريخ بضع صفحات تطلق علينا فيها مختلف الصفات، ولكن في المقابل ستقوم دولة «إسرائيل الكبرى» التي تضم ما يزيد على ٢٥ مليونا».

هذا الذي يريده «شارون» وهذا اعتقاده، إنَّه لا يجد غضاضة في قتل ستة ملايين عربي مسلم أو تحريقهم أو طردهم، بينما هو سيشعلها حربًا عالمية ثالثة إذا أصيب موظف «يهودي» صغير في إحدى السفارات اليهودية في مكان ما من العالم. إنه متطوع لخدمة إسرائيل الكبرى، وهو مستعد لفعل.. أي شيء مهما كان في نظر الناس قذرًا حتى لو قتل المسلمين جميعا ولو قتل جميع من في الأرض من أجل إسرائيل فهو شيء في اعتقاده مباح بل قربى يتقرَّب به إلى الله. وليس شارون وحده على هذا الاعتقاد بل جميع اليهود، ولا تقولوا صقور وحمائم فكلهم شارون وإلا فما الذي جاء بشارون إلى سُدَّة الحكم؟ ومكَّنه من رقاب العباد وتاريخه الدامي معروف؟ وهل يفعل شارون ما يفعله اليوم منطلقا من نفسه أم بتأييد من شعبه ومباركة من أمريكا وإنجلترا؟ بل يفعله انطلاقا من عقيدته المحرَّفة ومباركة شعبه وبحمايه أمريكية، وفي ظل صمت عالمي وتخاذل عربي إسلامي.

أوصاف اليهود المخزية

فاليهود هم اليهود من عبدة العجل ناقضي العهد قتلة الأنبياء محرفِّي الكلم عن مواضعه، وأكلة السحت والربا، والقائلين على الله ورسله الكذب، كاتمي الحق، تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الملعونين على لسان داوود وعيسى بن مريم، والممسوخين قردة وخنازير، لا تختص فضائحهم من عهد موسى مرورا بداوود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم، ومحمد (صلوات الله وسلامه على أنبيائه) ووصولا إلى هرتزل وعصابته، وبيجن وشرذمته، وإلى السفاحين الذين جاءوا من بعدهم ـ وكلهم سفاحون ـ ومن لبس منهم جلد الضأن على قلوب الذئاب أو الثعالب، ومن كشَّر عن أنيابه وجاهر بإرهابه...

إلى العتاة القساة غلاظ القلوب، الذين استهدفوا أعين الأطفال بالرصاص المتضجر، وأحرقوا قلوب الأمهات، وأحرقوا الأخضر واليابس،

وجرَّفوا الأرض، وهدموا البيوت فوق ساكنيها، وتركوا المصابين تنزف دماؤهم حتى الموت، وكشفوا الوجه الحقيقي لرجسة الخراب «إسرائيل» بفظاعتهم ووحشيتهم!! من أولئك الأقدمين إلي هؤلاء المعاهدين، لم تتغير الطبيعة، ولم يتغير الخلق، ولن يتغير لماذا؟ لأنهم يعتبرون ما يفعلونه من وحشية وإجرام حقًا مشروعا لهم وقربى يتقربون بها إلى الله؛ كما تزعم توراتهم التي حرَّفوها، وتلمودهم الذي كتبوه بأيديهم وإليكم بعض الأمثلة والشواهد:

«الربُّ» كما وصفته توراتهم المحرفة - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - في سفر التكوين ٣٢ - ٣٤ «رَنِّموا للرب الساكن في صهيون إنه يطالب بالدماء» وفي سفر الملاك من توراتهم المحرَّفة - أيضا - «أن سليمان - عليه السلام(٢) - ذبح اثنين وعشرين ألف ثور، وعشرين ومئة ألف خروف خلال أسبوع لله فلم يَرْتَو وطلب دماء البشر» هذا غيض من فيض عن تصورهم عن الله الذي هو في زعمهم يأكل ويشرب ومصاص دماء، وينسى ويتعب، ويصارع يعقوب، ويبكي على أبنائه، ويستشير حاخاماتهم في كل معضلة، وكثير وكثير من هذا الفساد الاعتقادي، الذي ننزه - نحن المسلمين - الله ربنا عنه وهو سبحانه المنزَّه عن كل نقص والموصوف بكل كمال فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وإذا كان هذا ظنهم وكذبهم وافتراؤهم على الله فما بالك بظنهم بالبشر؟

افتراؤهم على أنبياء الله:

في التوراة المزعومة سفر الأعداد الإصحاح ١٣/١٥/١٨ «ولما رجعوا إلى موسى سخط موسى وقال: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة...» فموسى - كليم الله - عندهم سفاح يأمر بقتل الأطفال والنساء بل إن إبراهيم - عليه السلام - أبا الأنبياء عندهم كذلك منهوم لا يشبع ومتعطش للدماء ويأكل لحوم البشر جاء في تلمودهم:

«إن إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلا وشرب دماءهم دفعة واحدة ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلا»، وحتى لا تشمئز نفس القارئ المسلم، وحتى لا تتأذى مشاعره أقف عند هذا الحد وإلا فالتوراة المحرَّفة والتلمود يطفحان بالإساءة البالغة إلى الله ورسله - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

نظرة اليهود لغيرهم من البشر:

وفيما يتعلق بعلاقة اليهود بغيرهم أذكر أيضا جانبا يسيرًا يكفي.

جاء في تلمودهم «من يسفك دم غير يهودي فإنما يقدم قربانا للرب» وجاء فيه أيضا «اليهود بشر لهم إنسانيتهم، أما الشعوب الأخرى فهم عبارة عن حيوانات» وفي سفر التكوين ٣٢ - ٣٤ «يعجنون كحك العيد بدم غير اليهود» يا قوم - وحتى لا أطيل عليكم - هذا معتقد اليهود، وهذا سلوك اليهود ماثلا أمامكم. ألم يعلن شارون أنه يتطوع للّه بذبح العرب والمسلمين؟ نعم هذه عقيدته وعقيدة غيره وهو مستعد لذبح جميع أهل فلسطين أو تحريقهم أو لذبح جميع المسلمين أو البشر جميعا فكلهم في زعمه حيوانات جاءوا لخدمة إسرائيل وهو يتقرَّب إلى الرَّب بهذه الأفعال القبيحة، وليس شارون وحده بل كلهم كذلك قال بن جوريون: «بدون التفوق الروحي لم يكن شعبنا يستطيع البقاء ألفي سنة في الشتات، وأن لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل». وقالت جولدا مائير «وجد هذا البلد تنفيذًا لوعد الرب ذاته.. ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحًا عن شرعية ذلك الوجود» وقال موشى ديان: «إذا كنا نملك الكتاب، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضا بلاد التوراة، أرض أورشليم، وحيرون وأماكن أخرى» وهذه الأماكن الأخرى أفصح عنها ديان قال: «إن على إسرائيل أن ترسم أهدافها القومية في حدود الوطن التاريخي» هذا اعتقاد القوم وسلوكهم وأفعالهم شاهدة بجديتهم في تنفيذ هذا الكذب المفترى. فماذا فعل أصحاب الحق الواضح الصريح؟ ماذا فعل المسلمون؟

وللحديث بقية.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم

أن يرزقنا التوفيق إلى الحق والثبات عليه حتى نلقاه سبحانه

هامش

(١) ودعونا نقولها صريحة فالمسلمون جميعًا في نظر بوش وشارون (لا يستحقون الحياة)

(٢) - عليه السلام - هذه من عندي فهم لا يعرفون هذه الكلمة ولا يقولونها لنبي أبدًا.

نظرات على الإجماع

الحلقة الأخيرة

بقلم: متولي البراجيلي

إجماع أهل المدينة:

اختلف أهل العلم في إجماع أهل المدينة، هل هو حجة أوْ لا؟ وقد قسم ابن تيمية إجماع أهل المدينة على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: ما يجرى مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد، فهذا حجة باتفاق العلماء.

المرتبة الثانية: العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فهذا حجة عند جمهور العلماء، فالجمهور على أن سنة الخلفاء الراشدين حجة، وما يعلم لأهل المدينة عمل قديم على عهد الخلفاء الراشدين مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام أحمد: كل بيعة كانت بالمدينة فهي خلافة نبوة.

ومعلوم أن بيعة أبي بكر وعمر وعثمان وكذلك علي كلها كانت بالمدينة ثم بعد ذلك لم يعقد بالمدينة بيعة.

المرتبة الثالثة: إذا تعارض في المسألة دليلان كحديثين أو قياسين وجُهل أيهما أرجح، أو أحدهما يعمل به أهل المدينة، ففي هذا نزاع، فمذهب مالك والشافعي أنه يرجح بعمل أهل المدينة، ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح به، ولأصحاب أحمد وجهان، ومن كلام الإمام أحمد أنه قال: إذا رأى أهل المدينة حديثًا وعملوا به فهو الغاية.

المرتبة الرابعة: العمل المتأخر بالمدينة، هل هو حجة شرعية يجب اتباعه أو لا؟ فالذي عليه أئمة الناس أنه ليس بحجة شرعية، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم، وهو قول المحققين من أصحاب مالك.

قال الشنقيطي رحمه الله: وإجماع أهل المدينة ليس بحجة، وقال مالك: هو حجة، أما حجة الجمهور على أنه غير حجة فواضحة لأنهم بعض الأمة، والمعتبر إجماع الأمة كلها، وأما حجة الإمام مالك فالتحقيق أنها ناهضة أيضًا؛ لأن الصحيح عنه إن إجماع أهل المدينة المعتبر له شرطان:

١- أن يكون فيما لا مجال فيه للرأي (نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم).

٢- أن يكون من الصحابة والتابعين لا غير ذلك؛ لأن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه في حكم المرفوع، فالحق بهم مالك التابعين من أهل المدينة في ما ليس فيه اجتهاد لتعلمهم ذلك عن الصحابة.

*اتفاق الخلفاء الراشدين هل هو إجماع أو حجة؟

اتفاق الخلفاء الراشدين حجة وليس إجماعًا، وذلك لأنهم ليسوا كل الأمة (وذلك عند الجمهور)، وما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله من أنه لا يخرج عن قولهم إلى قول غيرهم لا يدل على أن قولهم إجماع؛ لأن الدليل قد يكون حجة وليس إجماعًا.

*إذا اختلف الصحابة على قولين هل يجوز لمن بعدهم إحداث قول ثالث يخرج عن قولهم:

هذه المسألة فيها ثلاثة آراء:

أولاً: رأي الجمهور:

قالوا: لا يجوز الخروج على قوليهم، وحجتهم أن اختلافهم إلى قولين في قوة الإجماع (إجماع ضمني أو مركب كما يسمونه).

فيكون إحداث قول ثالث زائد عن قوليهم فيه خرق للإجماع، ولأن في ذلك نسبة الأمة إلى ضياع الحق والغفلة عنه، وهو باطل قطعًا، وفيه أيضًا القول بخلو العصر عن قائم

لله بحجته، وأنه لم يبق من أهل ذلك العصر على الحق أحد، وهذا باطل.

وقد بوَّب الخطيب البغدادي لهذه المسألة بقوله: ذكر الرواية أن الله تعالى لا يخلي الوقت من فقيه أو متفقه.

ومن الأدلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». [مسلم وغيره] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» [أبو داود، السلسلة الصحيحة للألباني] .

ومن المتفق عليه أن هذه الأمة معصومة عن إضاعة الحق أو جهل نص محتاج إليه بالنسبة لجميع العلماء، أما بالنسبة لبعضهم فقد يخطئ العالم، أو يجهل العالم النص، وإذا كان لا يجوز إحداث قول ثالث فيما إذا اختلفت الأمة على قولين، فألا يجوز إحداث تأويل ثالث في معنى آية أو حديث فيما إذا اختلفت الأمة في تأويلها أو تأويله على قولين أولى؛ إذ تجويز ذلك معناه أن الأمة كانت مجتمعة على الضلال في تفسير القرآن والحديث، وأن الله تعالى قد أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون؛ لأن كلا القولين خطأ، والصواب هو القول الثالث الذي لم يقولوه، اللهم إلا إن كان المراد من إحداث تأويل ثالث إيراد معنى تحتمله الآية أو الحديث من غير حكم بأنه المراد- فهذا جائز- فالمحذور هو أن تكون الأمة قد قالت: إن هذه الآية أو الحديث لا يراد بها أو به إلا هذا المعنى، فيكون القول الثالث تجويزًا لخفاء مراد الله عن كافة الأمة، وهذا ممتنع قطعًا.

ثانيًا: بعض الحنفية والظاهرية قالوا بالجواز، وقالوا أنه ما دام قد حصل اختلاف في مسألة بين المجتهدين فهذا دليل قاطع على أنه لا إجماع في المسألة، لأن الإجماع اتفاق الجميع ولم يحصل هذا الاتفاق، فلا مانع من إحداث قول ثالث ورابع أو أكثر.

ثالثًا: وقال آخرون بالتفصيل: وقالوا إذا كان بين المختلفين قدر مشترك متفق عليه فلا يجوز إحداث قول ثالث يخالف هذا القدر المجمع عليه، مثال على ذلك:

أن يقول البعض إن الجد لأب يحجب الأخ، وأن يقول البعض الآخر إن الجد والأخ يرثان، ففي القولين إجماع على أن للجد نصيبًا.

فيأتي قول ثالث فيقول أن الأخ يحجب الجد، فهذا لا يجوز وهو خرق للإجماع، أما إذا كان القول الثالث لا يصادم شيئًا متفقًا عليه بين المختلفين فيجوز إحداث قول آخر في المسألة، لأنه لا يلاقي إجماعًا في هذه الحالة، مثال على ذلك:

أن يقول البعض في متروك التسمية يؤكل مطلقًا، ويقول البعض: بل يمنع مطلقًا، فالقول بأنه يؤكل في ترك التسمية نسيانًا لا عمدًا تفصيل (جائز) لأنه وافق كلا من القولين في شيء ولم يخالفهما جميعًا، فهو في حالة النسيان وافق المجوزين، وفي حالة العمد وافق المانعين (جمع بينهما).

مسألة

إذا اختلف الصحابة على قولين فأجمع التابعون على أحدهما، فهل يكون هذا إجماعًا؟ قال بعضهم : إنه يكون إجماعًا لأنه اتفاق من جميع أهل العصر، وقال الآخرون لا يكون إجماعًا لأن الذين ماتوا وهم مخالفون لا يسقط قولهم بموتهم، أما إذا اختلف الصحابة ثم اتفقوا بعد الاختلاف فهذا إجماع منهم. ورجح الشنقيطي أن اتفاق التابعين على قول للصحابة من القولين المختلف فيهما يكون إجماعًا.

مسألة

جواز إحداث دليل لم يستدل به السابقون، لأن الإطلاع على جميع الأدلة ليس شرطًا في معرفة الحق، إذ يمكن معرفة الحق بدليل واحد، وليس في إحداث دليل جديد نسبة الأمة إلى تضييع الحق، بخلاف مسألة إحداث قول ثالث.

مسألة

الموقف الصحيح من اختلاف الصحابة: هو التخيرُ من أقوالهم بالدليل، واعتبار هذه المسألة التي اختلف فيها الصحابة من مسائل الاجتهاد التي تُرَدُّ إلى الدليل.

هل الإجماع يقدم على الكتاب والسنة؟

الإجماع كما سبق نوعان: قطعي وظني، وكلاهما مبني على نص من الكتاب أو السنة، ولكن في القطعي معلوم وفي الظني مجهول، ونصوص الكتاب والسنة محتملة التخصيص والتقييد والنسخ، لذلك كان مستند الإجماع مقدمًا على نصوص الكتاب والسنة.

وأما ما نقل عن بعض أهل العلم بأن الإجماع مقدم على الكتاب والسنة فهذا لا يليق كما قال شيخ الإسلام: وإن كنا نحسن الظن ببعض العلماء الذين يقولون إن الإجماع مقدم على الكتاب والسنة، وذلك أنهم يريدون الإجماع القطعي المستند إلى كتاب أو سنة، وهذا في الحقيقة لا نقول فيه الإجماع مقدم على الكتاب والسنة، بل يقال: إن هذا الحكم الذي استند إلى نص حصل الإجماع به مقدم على النص الآخر الذي لم يجمع عليه، إذًا فالتقديم إنما كان لنص على نص، لا لإجماع على نص، فلا يليق أن يُقال أن الإجماع مقدم على الكتاب والسنة لما في ذلك من قلب الأوضاع وما يترتب عليه من المفاسد.

إمكان انعقاد الإجماع

اختلف العلماء في إمكان الإجماع ووقوعه، فقال الجمهور: إن انعقاده ممكن وأنه وقع فعلاً. وقال بعض النظامية: «نسبة إلى النظام وهو من علماء المعتزلة وهو أول من أنكر الإجماع والقياس»، وبعض الخوارج والشيعة: إن انعقاده غير ممكن محتجين على ذلك بما يلي:

أولاً: أنَّ الإجماع لا يتحقق في رأي الجمهور إلا باتفاق المجتهدين في العالم الإسلامي كله في عصر من العصور، ومعنى هذا: أنه لا بد من أمرين:

١- معرفة أشخاص المجتهدين الذين يتوقف الإجماع على اتفاقهم.

٢- معرفة رأي كل واحد منهم في المسألة التي يراد الوقوف على رأيهم فيها، وكلا الأمرين متعذر عادة.

ذلك أنه لا يوجد ضابط يمكن الرجوع إليه لمعرفة المجتهد من غير المجتهد، وأيضًا فإن المجتهدين ليسوا محصورين في إقليم أو بلد واحد، فيصعب جمعهم في مكان واحد ومعرفة رأيهم مجتمعين.

ثانيًا: أن الإجماع لا يكون إلا عن دليل يستند إليه، وهذا الدليل إما قطعي أو ظني، فإن كان قطعيًا كانت العادة قاضية بمعرفة الناس له فسيتغنى بهذا عن الإجماع، وإن كان ظنيًا أحالت العادة حصول الاتفاق عليه، لاختلاف المجتهدين في قوة التفكير وسعة المدارك وموارد الاستنباط.

أما الجمهور فإن لهم أدلة كثيرة على وقوع الإجماع، منها:

١- الإجماع على خلافة أبي بكر الصديق.

٢- الإجماع على قتال مانعي الزكاة.

٣- الإجماع على جمع القرآن في المصحف.

٤- الإجماع على تحريم الربا في الأصناف الستة.

٥- الإجماع على إعطاء الجدة السدس في الميراث.

٦- الإجماع على بطلان تزوج المسلمة بغير المسلم.

٧- الإجماع على صحة عقد الزواج بدون تسمية المهر.

٨- الإجماع على عدم قسمة الأراضي المفتوحة على الفاتحين.

٩- الإجماع على أن الإخوة والأخوات لأب يقومون مقام الأشقاء عند عدمهم... إلى غير ذلك.

فانعقاد الإجماع فيما مضى دليل قاطع على إمكان وقوعه، فكيف يقال: إنه لم يقع ولن يقع؟

مناقشة أدلة المانعين للإجماع

١- أما ما احتجوا به من أن مستند الإجماع إن كان قطعيًا فهو لا يغيب عن الناس ولا حاجة إذن إلى الإجماع، لا ينهض حجة لأن الإجماع بمقتضى دليل قطعي يزيده قوة، ويغني عن البحث عن دليله.

وإن كان مستند الإجماع ظنيًا فالعادة لا تحيل إمكان الإجماع عليه إذا كان واضح الدلالة بيّن المعنى، وفي هذه الحالة يرتفع الدليل الظني بالإجماع إلى مرتبة القطعية.

٢- أما احتجاجهم بعدم إمكان معرفة المجتهدين بأشخاصهم لتفرقهم في الأمصار، فهذا القول جدير بالتأمل، والحق أن يقال: إن

عصور السلف تنقسم إلى قسمين:

الأول: عصر الصحابة.

الثاني: عصر ما بعدهم.

أما في عصر الصحابة فكان المجتهدون قلة ومعروفين بأعيانهم وكلهم تقريبًا موجودون في المدينة أو في مكان يسهل الوصول إليهم فيه، ففي عصرهم كان من السهل جدًا أن يقع الإجماع وقد وقعت فعلاً إجماعات كثيرة، ذكرنا أمثلة لها، حتى إن كانت كل هذه الإجماعات ليست صريحة، فإن سكوت الصحابة (في الإجماع السكوتي) ينزل منزلة الصريح، وذلك لما عرف عن الصحابة بعدم سكوتهم على ما لا يرضون عنه ومبادرتهم إلى إبداء رأيهم دون خشية من أحد، وهذا معروف مشتهر من سيرتهم.

أما بعد عصر الصحابة، فمن العسير جدًا التسليم بانعقاد الإجماع لتفرق الفقهاء في الأمصار البعيدة ولكثرة عددهم واختلاف مشاربهم وعدم الأخذ بأسلوب الشورى كما كان الحال في عصر الصحابة، فلا إجماع بالمعنى الصحيح للإجماع إلا ما كان في عصر الصحابة.

إمكان انعقاد الإجماع في العصر الحاضر

الإجماع- كما رأينا- مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، ويمكن الاستفادة منه في معرفة الأحكام الشرعية للوقائع الجديدة، وهذا من الممكن وقوعه في العصر الحاضر، خاصة مع التقدم في وسائل الاتصال الحديثة، فيمكن لكل دولة من الدول الإسلامية أن تحدد المجتهدين فيها، وأن يجتمع المجتهدون جميعًا من كل الدول الإسلامية، وليكن مرة كل عام، ومن الممكن أن يتم ذلك عن طريق تكوين مجمع فقهي على مستوى العالم الإسلامي، وأن يعرض عليه المسائل الجديدة التي تحتاج للدراسة، فإذا اتفقت آراؤهم جميعًا كان ذلك إجماعًا ويجب اتباعه على المسلمين جميعًا.

وحتى إن تعذر وجود بعض المجتهدين في مكان الاجتماع فإنه من الممكن أخذ رأيهم عن طريق وسائل الاتصال الحديثة كالانترنت وغيرها.

فائدة:

هل يجوز نسخ الإجماع بالإجماع؟

قرر علماء الأصول أنه لا يجوز نسخ الإجماع بالإجماع من غير تفصيل؛ لأن الإجماع متى ثبت وجب العمل به ولا تجوز مخالفته، فإذا جاء إجماع بعده على خلافه لم يصح اعتباره ولا العمل به.

ولكن هذا الحكم ينبغي أن يكون خاصًا بالإجماع المستند إلى نصٍ من الكتاب والسنة، أما في الإجماع الذي سنده المصلحة فإنه يجوز أن ينسخ بإجماع لاحق إذا تغيرت المصلحة التي بنى عليها الإجماع السابق؛ لأن حجية الإجماع المستند إلى مصلحة إنما هي بالنظر إلى تلك المصلحة التي أجمع المجتهدون على الحكم لأجلها، فإذا تغيرت تلك المصلحة لم يكن هناك وجه لبقاء حجية ذلك الإجماع، فتجوز مخالفته وتشريع الحكم المحقق للمصلحة الجديدة. والله أعلم.

المراجع

-مذكرة أصول الفقه للشنقيطي.
-الميسر في أصول الفقه الإسلامي، د. إبراهيم سلقيني.
-معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني.
-التأسيس في أصول الفقه لمصطفى سلامة.
-فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
-الوجيز في أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان.
-فتح الباري للحافظ ابن حجر.
-السلسلة الصحيحة للألباني.
-صحيح سنن النسائي والترمذي وأبي داود للألباني.
-صحيح مسلم.
-مسند الإمام أحمد.
-أصول الفقه د. شعبان إسماعيل.
-علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف.

موقف السلف من السحر والعِرافة والكهانة

بقلم: معاوية محمد هيكل

السحر في اللغة: ما خفي ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحرًا»، ومنه سمي السحر لآخر الليل؛ لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، فكل شيء خفي سببه يسمى سحرًا.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وتأثير السحر بإذن الله الكوني القدري، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٣]. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [العلق: ٤] يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه. «الكافي».

والسحر عمل شيطاني، وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها، ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجتبنوا السبع الموبقات». قالوا: وما هي؟ قال: «الإشراك بالله والسحر...» الحديث.

فهو داخل في الشرك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم والتقرب إليهم بما يحبونه ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ الآية [البقرة: ١٠٢].

الناحية الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ...﴾، أي نصيب وإذا كان كذلك فلا شك أنه كفر يناقض العقيدة. [«كتاب التوحيد»

وفي الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم- أو ذات ليلة- وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب (أي مسحور)، فقال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر زروان». فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه. فجاء فقال: «يا عائشة، كأن ماءها نقاعه الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين». قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا». فأمر بها فدفنت.

ويقال المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط والمشاطة من مشاطة الكتان.

جف الطلع: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع.

حقيقة السحر

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: قال المازري: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافًا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضًا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم، ومنها مسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض- لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتاله أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة.

قال القرطبي رحمه الله وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافًا للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني، حيث قال: إنه تمويه وتخييل.

دفع الشبهات التي أثيرت حول الحديث

أولاً: قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى

بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفًا مفردًا حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه من قال: غلط واشتبه عليه الأمر ولم يكن من هذا شيء.

قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يسحر. فإنه يكون تصديقًا لقول الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، قالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] ، وكما قال قوم صالح له: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]، وكما قال قوم شعيب له: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥].

وقالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين.

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، فما للمتكلمين وما لهذا الشأن؟ لقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل العلم بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأيامه من المتكلمين.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قد أنكر بعض الناس أن يكون النبي ﷺ سُحر، بحجة أن هذا القول يستلزم تصديق الظالمين الذين قالوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، ولكن هذا- لا شك- أنه لا يستلزم موافقة هؤلاء الظالمين بما وصفوا به النبي ﷺ؛ لأن أولئك يدعون أن الرسول ﷺ مسحورٌ فيما يتكلم به من الوحي، وأن ما جاء به هذيان كهذيان المسحور، وأما السحر الذي وقع للرسول ﷺ، فإنه فلم يؤثر عليه في شيء من الوحي، ولا في شيء من العبادات، ولا يجوز لنا أن نكذب الأخبار الصحيحة بمجرد فهم سيئ فهمه من فهمه. اهـ.

ثانيًا: وأما قولكم إن سحر الأنبياء ينافي حماية الله لهم:

فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلى به من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد الله لهم من النكال والعقوبة الآجلة، فيمحقهم بسبب بغيهم وعدوانهم، فيعجل تطهير الأرض منهم، فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة، والنعمة السابقة لا إله غيره، ولا رب سواه.

«فالسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه اللَّه منه، ولا نقص في ذلك، ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمى عليه ﷺ في مرضه ووقع حين انكفت قدمه وجحش شقه، وهذا من البلاء الذي يزيده اللَّه به رفعة في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء، فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به: من القتل، والضرب، والشتم، والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر، كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره سلى الجزور وهو ساجد، وغير ذلك، فلا نقص عليهم، ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند اللَّه». «التفسير القيم». إلى غير ذلك.

حكم السحر

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وقد سماه الله عز وجل- كفرًا في قوله في قصة هاروت وماروت، حيث قال تعالى على لسانهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال ابن عباس: وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرف أن السحر من الكفر.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه اللَّه: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرًا، ومنه ما لا يكون كفرًا، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا.

حكم الساحر

«واختلف العلماء أيكفر الساحر أم لا؛ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهما الله، وقال الشافعي: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر».

لذلك فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكفر؛ لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبًا؛ لقوله تعالى:

﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾.

ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير وغيرها فلا يكفر، ولكنه يعتبر عاصيًا معتديًا. [القول المفيد لابن عثيمين].

حد الساحر

في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر». روى أصله البخاري، وليس فيه: «اقتلوا كل ساحر وساحرة»، وكذلك الترمذي وهو صحيح كما في النهج السديد.

وعن حفصة رضي اللَّه عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت. [رواه مالك والبيهقي عن عبد اللَّه بن عمر بسند صحيح، كما في النهج السديد].

وروى البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانًا وأبان رأسه معجبًا، فجاء جندب الأزدي فقتله.

وأما قتل الساحر؛ فإن كان سحره على وجه يكفر به قُتل قتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته وهو الصحيح، وإن كان سحره دون الكفر فإنه يقتل حدًا يجب تنفيذه دفعًا لشره وأذاه، والسحرة يجب قتلهم سواء قلنا بكفرهم أم لا؛ لعظم ضررهم وفظاعة أمرهم، والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية؛ لأنهم يسعون في الأرض فسادًا، وفسادهم من أعظم الفساد، فقتلهم واجب على الإمام، ولا يجوز للإمام أن يتخلف عن قتلهم؛ لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم في أرضهم وفي أرض غيرهم، وإذا قتلوا سلم الناس من شرهم وارتدع الناس عن تعاطي السحر. [القول المفيد].

علاج السحر

روى الإمام أحمد بسند جيد وأبو داود عن جابر رضي اللَّه عنه أنه ﷺ سُئل عن النشرة، فقال: «هي من الشيطان».

النشرة: قال الخطابي: النشرة ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن به مس الجن، وقال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات المشروعة والدعوات المباحة، فهذا جائز. فلا يجوز أن يعالج السحر بسحر مثله، بل يعالج بالآيات القرآنية والأذكار النبوية.

حكم الذهاب إلى السحرة والكهان والعرافين

الكاهن أو العراف أو المنجم أو الرمال هو الذي يدعي علم الغيب أو يدعي الكشف، وعلم المغيبات من اختصاص الله تعالى فلا يعلمها أحد من خلقه لا جني ولا غيره إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من ملائكته أو رسله. قال تعالى: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ..﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء- فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا». رواه مسلم (٢٢٧/١٤)، دون زيادة: «فصدقه»، وهي عند أحمد (٦٨/٤) بسند صحيح.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد». وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدق العراف أو الكاهن بأي وجه كان.

وقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد». حسن رواه البزار والمنذري كما في النهج السديد.

وفي أثر ابن مسعود: من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد. [مجمع الزوائد، وهو صحيح كما في النهج السديد].

فلا يجوز الذهاب للسحرة والعرافين والكهان ولا تصديقهم؛ لأن هذا مما ينافي عقيدة التوحيد، والأدلة السابقة دالة على ذلك.

والله من وراء القصد.

•• إشهار ••

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالغربية بأنه قد تم إشهار فرع أنصار السنة بشيوة - الغربية، مركز أجا، تحت رقم ٩٦٢ بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٣٠م، بشأن الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

من نور كتاب الله عز وجل

-﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ. أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ٧- ١٠].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، إنك تداعبنا، فقال: «إني لا أقول إلا حقًا». [أخرجه الترمذي (١٩٩٠)].

من سير السلف

-قال يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري رحمه الله وقد صليت العشاء الآخرة: ناولني المطهرة أتوضأ، فناولته فأخذها بيمينه، ووضع يساره على خده ثم قمت ونمت، فلما طلع الفجر أتيته، فقلت: يا أبا عبد الله، طلع الفجر، فإذا المطهرة بيمينه ويساره على خده، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أفكر في أمر الآخرة إلى الساعة. [العظمة لأبي الشيخ (٣١٨/١)].

حكم ومواعظ

قال الربيع بن خُثيم: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا، قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب ثم لا تعود. [«سير السلف الصالحين» (٧٦١/٣)].

-عن سفيان، قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتًا وأصحابه يتحدثون، فقالوا: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرًا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى. [«التخويف من النار» (ص٥٧)].

-قال عون بن عبد الله: كنت أجالس الأغنياء، فكنت من أكثر الناس همًا وأكثرهم غمًا، أرى مركبًا خيرًا من مركبي، وثوبًا خيرًا من ثوبي فأهتم مجالست الفقراء فاسترحت. [سير السلف الصالحين (٨٨٦/٣)].

من أقوال السلف في الاتباع

عن الربيع: قال الشافعي رحمه الله: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت. [صفة الصفوة (١٧٠/٢)].

عن الأوزاعي قال: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول. [الشريعة (١٩٣/١)].

-عن أحمد بن حنبل قال: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد التابعين مخير. [مسائل الإمام أحمد (ص٢٧٦)].

صحح لغتك

يقولون: عرّس الرجل بامرأته. والصواب: أعرس فأما عرّس فمعناه: نزل في وجه السحر. [تثقيف اللسان (١٩٥)].

يقولون: رجل لَغويّ. والصواب: لُغويّ، بضم اللام منسوب إلى اللغة. [تثقيف اللسان (١٨٦)].

١- في الحديث قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوعي» بضم الراء الممدودة، فقل: «رُوعي»، وهو بمعنى النفس والخَلَد، ولا تقل: «رَوْعي» بفتح الراء وتسكين الواو؛ لأن الرَّوْع هو الخوف والفزع، وليس هذا مقصود

الحديث.

٢- وفي الحديث: «خير لك من حُمْر النَّعَم»، فقل: «حُمْر» جمع «أحمر»، والمقصود الإبل الحمراء، وهي أنفس مال العرب. ولا تقل: «حُمُر» بضم الميم؛ لأنها جمع «حمار» وفارق كبير بين المعنيين.

وقل النَّعم بفتح النون وليس بكسرها؛ لأن النِّعم جمع نعمة، وأما النَّعم بالفتح فالمراد بها الأنعام.

تأويلات فاسدة

قالوا في قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. قالوا: أي وجاء أمر ربك بالحساب والملك فيعطلون بهذا التأويل الفاسد إتيانه ومجيئه سبحانه وتعالى خلافًا لعقيدة أهل السنة الذين يثبتون صفة المجيء والإتيان بدون تشبيه أو تأويل أو تعطيل أو تكييف؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وصايا إلى طلاب العلم
توقير العلماء

إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنِّته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تشر إليه بيدك، ولا تفشي له سرًا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، فإن زل انتظرت أوبته وقبلت معذرته، وأن توقره وتعظمه لله ولا تمش أمامه ولا تتبرمنَّ من طول صحبته، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر ما يسقط عليك منها مِنْ منفعة، وإذا جئت فسلم على القوم وخصه بالتحية واحفظه شاهدًا وغائبًا. [الإلماع (ص٤٨)].

من أخطاء المصلين
تغميض العينين في الصلاة

لم يكن من هديه ﷺ تغميض عينيه في الصلاة، بل كان ﷺ يفتح عينيه المباركتين في الصلاة ولم يغمضهما كما يفعله بعض المتعبدين.

مصطلحات تهم طلاب العلم

اعلم أن الحديث إذا انتهى إلى النبي ﷺ يقال له: «حديث مرفوع». وإذا انتهى إلى الصحابي يقال له: «حديث موقوف». وإذا انتهى إلى التابعي يقال له: «حديث مقطوع». [النخبة النبهانية (ص٥٤)].

أخطاء حول قبة الصخرة

اعتقاد بعض الناس أن النبي ﷺ لما عرج به ليلة الإسراء والمعراج صعد على صخرة بيت المقدس وركب البراق فمالت الصخرة وارتفعت لتلحقه فأمسكتها الملائكة، ففي طرف منها أثر قدمه الشريف، والطرف الآخر أثر أصابع الملائكة عليهم السلام، فهي واقفة في الهواء، واعتقادهم أن قبة الصخرة هي المسجد الأقصى، وأيضًا تعلقهم بهذه الصخرة وجعلها مزارًا فيعظمونها، فهذا كله ليس من الدين، بل اعتقاد خاطئ، وليس لقبة الصخرة أي خصيصة تذكر بعكس المسجد الأقصى. نسأل الله أن يطهره من دنس اليهود إخوان القردة والخنازير.

أقوال

ساعة لربك وساعة لقلبك

هو قول شيطاني- إن أريد بساعة القلب ارتكاب المعاصي- لأن الساعات وأوقات الزمان كلها لله رب العالمين، فهو خالق الزمان والمكان، ومن المعلوم أن من يقول هذا يقصد أن الزمن الذي نعيشه ينبغي أن نقسمه بين الطاعات وبين اللهو والمجون، وهذا خطأ ولا شك؛ لأن الإنسان سوف يُسأل عن وقته، أي عمره، قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». [صحيح. الترمذي].

والعبد ينبغي أن يعيش طائعًا لله دائمًا حتى في لهوه، لا بد أن يكون لهوًا مباحًا، كمداعبة الزوجة والأولاد. روى مسلم في صحيحه عن حنظلة الأسدي: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد الصغار، فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفي طرقكم، لكن يا حنظلة، ساعة وساعة».

فلم ينكر النبي ﷺ ملاعبة الأزواج والأولاد، بل صرح ﷺ بما يجوز للإنسان فعله في غير ذكر الله، فقال: «كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة». [صحيح. النسائي، «السلسلة الصحيحة» (٣١٥)].

ولا بد للعبد أن يعلم أن كل شيء لله، وأن يذكر نفسه ويعود قلبه ولسانه على: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الباب المردود يرد القضا المستعجل

قول خاطئ، فإن أمر الله نافذ وقضاؤه لا يُرد، ولا يمنع حذر من قدر، ولن ينفع عندئذ إغلاق الباب أو رده، فإن الله يقول: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

والواجب على العبد أن يتوكل على الله ويأخذ بالأسباب الشرعية، وقد قال ﷺ: «اعقلها وتوكل». [حسن. الترمذي، «صحيح الجامع» (١٠٦٨)].

«أنا اسطبحت بوش مين» «وشه يقطع الخميرة من البيت»

هذا تشاؤم، والتشاؤم يسمى الطيرة، وهو شرك، قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك ، ثلاثًا». [صحيح. رواه أبو داود].

وقال: «لا طيرة، وخيرها الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم». [رواه البخاري].

وقال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة». [رواه مسلم].

وقال: «... فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل:

واعتقادات خاطئة

إعداد: د. طلعت زهران

اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك». [صحيح. رواه أبو داود].

قال الشيخ حافظ حكمي في «معارج القبول»: وأما الطيرة فهي ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها تشاؤمًا بسماع بعض الكلمات القبيحة، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار حتى يبيع من غيره تشاؤمًا به وكراهة له. اهـ.

حاجة تقصر العمر

قول خاطئ؛ لأن الآجال محدودة والأنفاس معدودة، ولا يتجاوز إنسان عمره المكتوب له ولا يقصر عنه، جرى بذلك القلم يوم خلقه الله، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

وفي صحيح مسلم عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. فقال لها رسول الله ﷺ: «إنك سألت الله تعالى لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيء منها قبل حله ولا يؤخر منها يومًا بعد حله، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لكِ».

فائدة: اعلم أن عمرك يمكن أن يزيد، وهذا يكون بالأعمال الصالحة، خاصة صلة الرحم، وهذه الزيادة إما بالبركة في العمر أو بالذرية الصالحة، قال ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه». [متفق عليه].

وقد ذكر رسول الله ﷺ زيادة العمر فقال: «إن اللَّه تعالى لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة». [صحيح. رواه ابن أبي حاتم].

أما معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، فكما ذكر ابن كثير قال: أي ما يعطي بعض النطف من العمر الطويل بعلمه وهو عنده في الكتاب الأول، الضمير عائد على الجنس لا على العين؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس. قال ابن جرير: وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه، أي ونصف ثوب آخر.

الإعلام
بسير الأعلام

الإمام: عبدالرحمن ابن مهدي

إعداد: مجدي عرفات

اسمه: هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي مولاهم البصري اللؤلؤي.

مولده: ولد سنة خمس وثلاثين ومائة وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة.

شيوخه: سمع من هشام الدستوائي وشعبة بن الحجاج وحماد بن سلمة، ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وهشيم وأبي عوانة، وأمم.

طلابه: حدث عنه ابن المبارك وابن وهب- وهما من شيوخه- وابن المديني وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة أبو بكر عمرو بن علي الفلاس، وابن معين، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه

قال الشافعي: لا أعرف له نظيرًا في هذا الشأن (الحديث).

قال أحمد بن حنبل: عبد الرحمن أفقه من يحيى القطان، وقال: إذا اختلف عبد الرحمن ووكيع فعبد الرحمن أثبت؛ لأنه أقرب عهدًا بالكتاب، واختلفا في نحو من خمسين حديثًا للثوري، فنظرنا فإذا عامة الصواب في يد عبدالرحمن.

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

قال عبيد الله بن عمر القواريري: أملى عليَّ عبد الرحمن عشرين ألف حديث حفظًا.

قال علي بن المديني: كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسِّحر.

وقال أيضًا: لو أخذت فَحُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر أحدًا قطّ أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي، وأبو حاتم يسمع منه ذلك.

وقال أيضًا: إذا اجتمع يحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي على ترك رجل لم أحدث عنه، فإذا اختلفا أخذت بقول عبد الرحمن لأنه أقصدهما، وكان في يحيى تشددًا.

وقال أيضًا: كان عبد الرحمن بن مهدي أعلم الناس. قالها مرارًا.

قال ابن أبي حاتم: ومن العلماء الجهابذة النقاد من أهل البصرة عبد الرحمن بن مهدي.

قال أبو نعيم في «الحلية»: ومنهم الإمام الرضي، والزمام القوي، ناقد الآثار وحافظ الأخبار، عبد الرحمن بن مهدي، كان للسنن والآثار تابعًا، وللآراء والأهواء دافعًا.

قال الخطيب البغدادي: كان من الربانيين في العلم وأحد المذكورين بالحفظ، وممن برع في معرفة الأثر والطرق والروايات وأحوال الشيوخ.

قال الذهبي: كان إمامًا حجة، قدوة في العلم

والعمل.

وقال ابن حبان: كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين، ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدّث وأبى الرواية إلا عن الثقات.

من أحواله وأقواله

قال أحمد بن سنان: كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ولا يُبرى قلم، ولا يُتبسم ولا يقوم أحد قائمًا، كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في صلاة، فإن رأى أحدًا منهم تبسم أو تحدث أو يضحك أو يبري قلمًا لبس نعله وخرج.

قلت: هكذا كانوا يصونون العلم والحديث ويعظمونه.

قال نعيم بن حماد: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: كيف تعرف الكذاب؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون.

ما يجب على أئمة العلم !!

قال عبيد الله بن سعيد: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: احفظ؛ لا يجوز أن يكون الرجل إمامًا حتى يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شيء، وحتى يعلم بمخارج العلم.

قلت: انظر لعلماء زماننا أو لمن ينسب للعلم من أهل زماننا لا تكاد تجد من يميز بين الصحيح وغيره، بل ولا يعرف أن في الأحاديث ما هو موضوع مكذوب ويحتج بكل ما سمع أو قرأ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: كان يقال: إذا لقي الرجلُ الرجلَ فوقه في العلم كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إمامًا في العلم من حدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ للإتقان.

قلت: هكذا كان حال من يتعلم العلم لله، تواضع وعدم ازدراء للآخرين كما هو حادث في زماننا، ينظر من لا يحسن شيئًا من العلم إلا قليلاً نفسه بعين الإعجاب وإلى الآخرين بعين الاحتقار، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: الرجل أحوج إلى العلم منه إلى الأكل والشرب. قلت: فالأكل والشرب يصلح البدن، والعلم يصلح القلب والدين الذي هو صلاح الدنيا والآخرة.

قال ابن نمير: قال عبد الرحمن بن مهدي: معرفة الحديث إلهام. قال ابن نمير: صدق، لو قلت له من أين لم يكن له جواب، قلت: لا تحسبن أنهم يقولون ذلك بالتخمين والحدس، إنما لطول تعاطيهم الحديث صارت لهم ملكة بها يميزون كما يقول الصيرفي الناقد: هذا جيد وهذا بهرج زيف. قال ابن المديني: جاء رجل إلى ابن مهدي فقال: يا أبا سعيد، إنك تقول: هذا ضعيف وهذا قوي وهذا لا يصح، فعمّ تقول ذاك؟ فقال عبد الرحمن: لو أتيت الناقد فأريته دراهمك، فقال: هذا جيد وهذا ستّوق(١)، وهذا نبهرج(٢) أكنت تسأله عمّ ذاك أو كنت تسلّم الأمر إليه؟ فقال: بل كنت أسلم الأمر إليه، فقال عبدالرحمن: هذا كذاك، هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة والعلم به، قال: فذكرته لبعض أصحابنا، فقال: أجاب جواب رجلٍ عالم.

قال: ويحيى بن سعيد جالس وذكر الجهمية: ما كنت لأناكحهم ولا أصلي خلفهم، ولو أن رجلاً منهم خطب ليّ أمةً لي ما زوجته. قلت: لأنه يرى كفرهم، فمن اشنع مقالاتهم أنهم يقولون: إن القرآن مخلوق، ويسلبون الله عز وجل صفاته.

القائلين بخلق القرآن !!

قال: من قال القرآن مخلوق فلا تصل خلفه، ولا تمش معه في طريق، ولا تناكحه.

قال له إبراهيم بن زياد- سَبَلان- ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: لو كان لي سلطان لقمت على الجسر، فكان لا يمر بي أحد إلا سألته، فإن قال لي مخلوق ضربت عنقه وألقيته في الماء.

قال: من زعم أن القرآن مخلوق استتبته، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، لأنه كافر بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

سئل عن الصلاة خلف أصحاب الأهواء فقال: يصلي خلفهم ما لم يكن داعية إلى بدعته مجادلاً بها، إلا هذين الصنفين: الجهمية والرافضة، فإن الجهمية كفار بكتاب الله عز وجل والرافضة ينتقصون أصحاب رسول الله ﷺ.

-ذُكر عنده قومٌ من أهل البدع واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة، ثم قرأ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، فلم يقبل ذلك منهم ووبخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسنة.

-ذُكر عنده أصحاب الرأي فقال: ﴿لاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قلت: يعني أصحاب الرأي الذين يعارضون بآرائهم السنة الثابتة الصحيحة.

قال: ما خصلة تكون في المؤمن بعد الكفر بالله أشد من الكذب وهو أشد النفاق.

قال أبو الحسن الميموني: سمعت أبا عبدالله- يعني أحمد بن حنبل- وسئل عن أصحاب الرأي يكتب عنهم الحديث؟ فقال أبو عبد الله: قال عبد الرحمن بن مهدي: إذا وضع الرجل كتابًا من هذه الكتب كتب الرأي أرى أنه لا يكتب عنه الحديث ولا غيره، قال أبو عبد الله: وما تصنع بالرأي وفي الحديث ما يغنيه عنه، أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم، عليك بحديث رسول الله ﷺ وما رُوي عن أصحابه أبي بكر وعمر فإنه سنة. قلت: لا مزيد على هذا الكلام في الحسن كيف وهو كلام إمام أهل السنة رحمه الله؟

قال: لولا أني أكره أن يُعصى اللهُ لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني، أيُّ شيءٍ أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها.

قال العجلي: قيل لعبد الرحمن: أيما أحبّ إليك، يغفر لك ذنبٌ أو تحفظ حديثًا؟ قال: أحفظ حديثًا. قلت: لعله أراد أن بحفظه الحديث ونشره للعمل به يكون ذلك أكثر حسناتٍ من مغفرة ذنب واحدٍ. والله أعلم.

رُوي عنه أنه قال: من طلب العربية فآخره مؤدب، ومن طلب الشعر فآخره شاعر يهجو أو يمدح بالباطل، ومن طلب الكلام فآخر أمره الزندقة، ومن طلب الحديث فإن قام به كان إمامًا، وإن فرّط ثم أناب يومًا، يُرجع إليه، وقد عُتِقت وجَادَتْ.

قال رسته: قام ابن مهدي من المجلس وتبعه الناس، فقال: يا قوم، لا تطؤنّ عقبي، ولا تمشُنّ خلفي، حدثنا أبو الأشهب عن الحسن عن عمران: خفق النعال خلف الأحمق قلّ ما يُبقي من دينه.

التواضع واتهام النفس !!

قلت: هذا هو التواضع واتهام النفس والخوف عليها من الكبر والعياذ بالله.

قال الذهبي: وبلغنا عن ابن مهدي قال: ما هو- يعني الغرام بطلب الحديث- إلا مثل لعب الحمام ونطاح الكباش.

قلت- القائل الذهبي-: صدق والله إلا لمن أراد به الله وقليل ما هم.

قلت: نسأل الله العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في الأقوال والأعمال.

قال رسته: حضرت عبد الرحمن صبيحة بُني على ابنته فخرج فأذن ثم مشى إلى بابهما فقال للجارية: قولي لهما يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن: سبحان الله، أي شيء هذا؟ قال: لا أبرح حتى يخرجا فخرجا بعد ما صلى عبد الرحمن.

قلت: سبحان الله، هكذا الحرص على الخير والقيام بأمر الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾ [طه: ١٣٢]. هكذا كانوا، وهكذا ينبغي أن نكون علم للعمل والدعوة إليه لنكون أهلاً لرفعة الله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، رحم الله سلفنا الصالح وجمعنا بهم في جنات النعيم.

وفاته: توفي عبد الرحمن بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة، رحمه الله رحمة واسعة.

الهوامش

(١) درهم ستوق وسُتوق: زيفٌ مبهرج لا خير فيه.

(٢) مبهرج وبهرج: كل رديء الدراهم وغيرها.

مظاهر الأُخُوّة الإيمانية ومقتضياتها

بقلم: عبد المحسن بن محمد العجيمي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فيقول الله تعالى في محكم التنزيل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

ويقول الحبيب المرتضى والنبي المجتبى محمد أفضل من وطئ الثرى صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى».

أخوة الدين هي دعامة الإسلام وعلامة التميز للمسلمين، وهي رابطة أقوى وأشدّ وأمتن وأصلب من روابط النسب والدم، وأعلى منها وأجل؛ لأنها مبنية على أساس الإيمان، ووحدة العقيدة في الإسلام.

وفي الآيتين السابقتين أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بلزوم تقواه والاعتصام بحبله المتين، ونهي لهم منه سبحانه عن الفرقة والاختلاف وتذكير بنعمته التي أنعم بها عليهم من جعلهم بالإسلام إخوانًا متآلفين بعد أن كانوا بكفرهم أعداءً متخالفين.

وفي الحديث- السابق ذكره- يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم وحدة المسلمين واجتماعهم بالجسد الواحد إذا تألم منه عضو بمرض أو سقم، سرى الألم لباقي الأعضاء، فلم يستقر على حال ولم يهدأ له بال، وفقد طعم العافية ولذة المنام.

وكذلك المسلمون- حقيقة- إذا نزلت بهم كارثة أو ألمت بهم نائبة- في أي صقع من أصقاعهم أو أي ناحية من نواحي بلدانهم- تألم الباقون لألمهم، وأحسوا بمصابهم وسعوا- بكل ما أوتوا من قوة- لرفع ما ألم بإخوانهم من نوائب وما نزل بهم من خطوب أو حل بهم من نكبات، فهم إخوة في الدين؛ امتثالاً لقول رب العالمين: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] [الحجرات: ١٠].

إنما المؤمنون إخوة

فالمسلمون جميعًا إخوة متحابون، مهما تباعدت أقطارهم وتباينت ألوانهم ونأت ديارهم واختلفت ألسنتهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجبر عليهم أقصاهم إذ أنهم إخوان أحباء، وأعوان أوفياء وأخدان رحماء، وهم يدٌ واحدة في السراء والضراء، تحقيقًا لقول نبي الرحمة والهدى صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، وشبك بين أصابعه.

والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه ولا يضاره أو يشق عليه، ففي الحديث: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه». وفيه أيضًا: «من ضار مسلمًا ضاره الله، ومن شق على مسلم شق الله عليه».

وإن من مظاهر الأخوة الإيمانية ومقتضياتها نصرة المسلم لأخيه المسلم، فالمسلم الحق سند لأخيه المسلم وإن تباعدت الأقطار ونأت الديار، إن ركن إليه أعانه، وإن لجأ إليه في دفع ظلم أو عدوان انتصر له وآزره، ودافع عنه كأنما يدافع عن نفسه، فلا يتركه وحده في خضم الحياة

ومسالكها يتيه في البراري وتعدو عليه الضواري.

فالمسلم لا يخذل أخاه أبدًا؛ لأنه يعلم أن من خذل أخاه المسلم خذله الله، وفي الحديث يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «من أُذل عنده مسلم فلم ينصره- وهو يقدر أن ينصره- أذله الله على رءوس الخلائق يوم القيامة».

ذلكم- أحبتي في الله- هو المسلم الصادق في أخوته، وهدف من أهداف هذه الأخوة الإيمانية التي جعلها الله تعالى فوق كل الاعتبارات الأرضية.

أضرار ضعف الأخوة

أما المسلم الذي يعيش لنفسه، ويترك أخاه يقطع الطريق وحده، تُلم به البلايا والمحن، فلا يمده بعون، وتنتقص أطرافه فلا يدافع عنه، وتستباح حرمته فلا يظاهره أو يثأر له، وكأنه لا يعنيه ذلك في قليل أو كثير، فذلكم هو الأناني الذي يعيش لمصلحة نفسه.

وما ضعف المسلمون وهانوا على أنفسهم واستخزوْا لأعدائهم، إلا بعد أن دب إليهم داء الأنانية، وأصبح كل فريق، بل كل فرد يعيش لنفسه ويسعى لمصلحته، ولو كانت على حساب أخيه ومضرته، ويضع يده في يد عدوه ويخذله وهو أحوج ما يكون إلى نصرته، وتلك هي الهزيمة المنكرة، هزيمة المسلم لأخيه المسلم، بل هزيمة المسلمين جميعًا لأمتهم.

فحري بالمسلمين الصادقين، وجدير بالمؤمنين الموحدين، أن يكونوا كتلة واحدة، وصفًا متراصًا في وجه كل عدو وصاحب مطمع.

والمسلمون جميعًا- في كل زمان ومكان- جسد واحد، وإذا نكب مسلم في أقصى الأرض اهتم به المسلمون وتألموا له، وسارعوا لنجدته، وتسابقوا في تخليصه وفكاكه.

ولكن للأسف الشديد قد مات هذا الشعور في وجدان كثير منا، وأصيب جسم الأمة بشلل خطير، أفقده الإحساس بين أجزائه وأعضائه حتى أصبحنا نرى ونسمع، بل نشاهد بأعيننا إخوة لنا ينكبون في أوطانهم ويفتنون في دينهم فلا نهتم أدنى اهتمام، ولا نعتبر أو نزدجر، وكأن الأمر لا يعنينا، حيث تلاشى الحب بين كثير من المسلمين أو كاد، ودب إليهم دبيب البغضاء والأحقاد، فتناكرت القلوب والآراء، واختلفت المنازع والأهواء، ولم يبق من مظاهر الأخوة سوى مراوغة باللسان، ومجاملة بالقول ورياء بالعمل، وادعاء فارغ في الحب والإخلاص، حتى لا تكادُ ترى- في غمار الحياة اليوم- صديقًا صدوقًا، أو أخًا حميمًا، أو خليلاً مواسيًا، ونظر الناس إلى الأحكام الشرعية والأوامر الإلهية والمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية بالمقاييس المادية وموازين المنافع العاجلة والمصالح المتبادلة، فحلت عند ذلك القطيعة وبعدت على المسلمين الشقة، وانعدم الشعور بالمشاركة في آلام المسلمين وآمالهم، ولست أدري كيف تطيب لنا الحياة ونضيع الأوقات، ونقتل الدقائق واللحظات، ونعصي رب الكائنات وإخوة لنا في كثير من بقاع الأرض يقتلون ويشردون، يفتنون في دينهم، وتستباح بيضتهم وتغتال كرامتهم، وتهدر مروءتهم.

مقتضيات الأخوة

إن واجب الأخوة الإيمانية يقضي ويلزم بأن نحمل همّ إخواننا المسلمين في كل مكان نتابع أخبارهم، نتفقد أحوالهم نشاطرهم أحزانهم، نذب عن أعراضهم، نتألم لآلامهم ونحمل شيئًا من مصابهم، ندعو لهم بظهر الغيب، فدعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة.

إن دين الإسلام ليس مجرد شهادة يتلفظ بها صاحبها، أو مجرد ركعات يركعها، أو أيام يصومها، دون استشعار ومعايشة لما يصاب به إخوانُه من بلايا وفتن ورزايا ومحن، إننا بحاجة ماسة إلى أن تسود بيننا روح المحبة والأخوة والصداقة.

فالإيمان لا يكمل، وحلاوته لا توجد إلا بمحبة بعضنا بعضًا ووقوف بعضنا إلى جانب بعض ونصرة بعضنا بعضًا: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [الحجرات: ١٥]، فهل تجد هذه الكلمات آذانًا صاغية وقلوبًا واعية، هذا ما نأمله ونرجوه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قضية محسومة !!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم... أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة... وبعد:

فإن الأحداث التي تعيشها الأمة الإسلامية- الآن- بما فيها من جراح وآلام ومآسٍ وأحزان، باطنها فيه الرحمة، وظاهرها العذاب، وهي تداعي الأمم علينا كتداعي الأكلة إلى قصعتها، تميز بين المؤمنين والمنافقين، والله جل وعلا يقول: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

(أي لا بد أن يعقد شيئًا من المحن يظهر فيه وليه، ويفضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر)(١).

فالمؤمن يثبت في الفتن، بل وتزيده الفتن إيمانًا، قال تعالى واصفًا المؤمنين: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

أما المنافقون فإن زلزلة الفتن تفضحهم؛ فيظهر جبنهم، قال تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] لما يصيبهم من الخوف والفزع.

بقلم: أحمد محمد السعدني

ويسارعون في موالاة الكفار، قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

ويبتغون عندهم العزة، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

ويحاولون بث الدعاية الكاذبة، محاولين زعزعة صفوف المؤمنين وتخويفهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا. وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣].

ويفرحون بمواقفهم المتخاذلة هذه، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، وبهذه الأحداث- أيضًا- تتلقى الأمة دروسًا عملية بالآيات الكونية القدرية، حيث لم تستوعب الأمة الآيات الشرعية النظرية للإلف والعادة أو للانشغال والغفلة، «فلا بد أن تتلقى الأمة بين آن وآخر دروسًا عملية في تجريد التوحيد لله، محبة وخوفًا ورجاء، ودروسًا عملية في موجبات الولاء والبراء، ودروسًا عملية في الصبر على البلاء ومعايشة مواقف الأعداء، ودروسًا عملية في معرفة خطر النفاق، وأخرى في تبعة ترك الجهاد وهجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتلقى كذلك دروسًا عملية في معرفة آثار التفرق والتنازع ونتائج الاجتماع على

وشائج غير الإيمان من الحزبية والعنصرية والانتماءات الفكرية والمنهجية غير السوية، ومن الواضح أن الأمة تتلقى الآن دروسًا عملية مكثفة في كل ذلك، فالحمد لله على قضائه وقدره، حيث قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]»(٢).

أما نصر المؤمنين وتمكينهم فهي القضية المحسومة، التي وعد الله تعالى بها عباده المؤمنين هبة منه سبحانه، حيث قال- وقوله الحق-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، و﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

«فالعاقبة للمتقين وإن امتحنوا مدة، ابتلاءً من الله وحكمة، فإن النصر لهم والعاقبة الحميدة لهم على قومهم، وهذه وظيفة العبد، أنه عند القدرة أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير وما يقدر عليه، وعند العجز أن يصبر ويستعين بالله وينتظر الفرج»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها». [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عز يعز الله به الإسلام، وذل يذل به الكفر». [صحيح. «الصحيحة» (٣)].

وكذلك هزيمة الكفار واندحارهم قضية حسمها الله تبارك وتعالى، حيث قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

«وفي هذا إشارة للمؤمنين بالنصر والغلبة وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود والنصارى، وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحس والعيان»(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

والمعنى: «أنهم لن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس؛ فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، فتكون الآية ردًا على المنافقين فيما أملوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعة الكافرين خوفًا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم»(٥).

فهذه قضية حسمها الله تعالى، ولكن لا ينتصر ويمكن إلا أهل الإيمان الصادق، الذين ذاقوا طعمه وحلاوته، الذين ينصرون الله تعالى في أنفسهم وما يملكون، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

«فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف، فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله كما وعد، وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح، فمن كان أكمل إيمانًا وعمل صالحًا كان استخلافه المذكور أتم، فإن كان فيه نقص وخلل، كان في تمكينه خلل ونقص؛ وذلك أن هذا جزاء هذا العمل، فمن قام بذلك العمل

استحق ذلك الجزاء»(٦).

وقال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. فالتمكين وسيلة لإقامة دين الله تعالى في أرضه، لا غاية في ذاته.

وبقي سؤال: هل المسلمون يحاربون بعدد أو عدة؟

وجوابه قول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. فالله جل وعلا لا غالب له، ولو اجتمع أهل الأرض إنسهم وجنهم بعددهم وعُددهم، فمن نصره الله لا يغلبه أحد. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

هذا مع الأخذ بالأسباب وإعداد العدة كما أمرنا الله تعالى؛ لإرهاب أعدائه، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والأمة ليست فقيرة ولا ضعيفة أو قليلة، ومن صور نصر الله تعالى نزول الملائكة، وإلقاء الرعب في قلوب الكفار، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وليس هذا خاصًا بالنبي ﷺ وصحابته، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، بل هو عام في المؤمنين في كل مكان وزمان، إن حاربوا لتكون كلمة الله هي العليا.

وكما قال سيف الله خالد لأمين الأمة أبي عبيدة، رضي الله تعالى عنهما، في اليرموك: أرى- والله- إن كنا إنما نقاتل بالكثرة والقوة، هم أكثر منا وأقوى وما لنا بهم إذن طاقة، وإن كنا نقاتلهم بالله ولله فما أن جماعتهم- ولو كانوا أهل الأرض جميعًا- أنهم تغني عنهم شيئًا.

وفي الزلاقة (٤٧٩هـ): يقتل المسلمون- وكان عددهم ثمانية وأربعين ألفًا- قرابة مائة وثمانين ألف صليبي وتصف رؤوسهم على شكل هرم ويؤذن المؤذن من فوقها.

وفي ملاذكرد (٦٤٣): كان المسلمون كالشامة البيضاء في الثور الأسود، كما قال ابن النحاس، حيث كان عدد المسلمين اثنى عشر ألفًا، وعدد الصليبيين ستمائة ألف، أو كان عدد المسلمين خمسة عشر ألفًا، وعدد الصليبيين مائتي ألف، كما في السير، أيا كان الحال فقد بيع ملك الصليبيين بكلب بعد هزيمة منكرة

وفي حطين (٥٨٣): اثنا عشر ألف مسلم يدحرون خمسين ألفًا- وقيل: ثلاثة وستين ألفًا- من الصليبيين، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله ودفع الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، كما في «البداية والنهاية».

بل وفي عصرنا رأى العالم كيف فعل المجاهدون الأفغان بالاتحاد السوفيتي، وكيف أن ستة آلاف شيشاني استطاعوا دحر نصف مليون شيوعي روسي(٧).

﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٢/١).
(٢) شهادة أهل الإيمان (ص٢٢٤).
(٣) تفسير السعدي (ص٣٠١).
(٤) تفسير السعدي (ص١٢٣).
(٥) راجع ابن كثير (٥٦٧/١).
(٦) مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧١/١٨).
(٧) مجلة التوحيد، عدد ربيع الأول ١٤١٨هـ، (ص٢٣).

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة الخامسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير البرية ومعلم البشرية، ومربي الأمة وهاديها بإذن ربها إلى الصراط المستقيم... وبعد:

نواصل حديثنا حول هدي النبي ﷺ في الاهتمام بالأطفال.

(١٥) ويأمر صلى الله عليه وسلم بحلق رأس الطفل يوم سابعه وتنظيفه وإزالة الأذى عنه:

شرع الإسلام أن يُحلَق رأس الطفل يوم سابعه إيذانًا بالعناية به وإزالة ما يؤذيه، بل وشرع التصدق عنه بوزن شعر رأسه فضة. وكأن في ذلك إشارة إلى فدائه بالمال وعدم التفريط فيه، وأنَّ شعر رأسه الذي يؤذيه بقاؤه فيحلقونه ليس رخيصًا عند أسرته، بل يوزن بالمال الذي يحرص عليه الناس، كما شرع ختانه، وهو من خصال الفطرة التي حث عليها رسول الله ﷺ. قال ابن القيم رحمه الله، بعد أن ذكر نصوص خصال الفطرة:

(وقد اشتركت خصال الفطرة في الطهارة والنظافة وأخذ الفضلات المستقذرة، التي يألفها الشيطان ويجاورها من بني آدم، وله بالغرلة اتصال واختصاص). [تحفة المودود (ص ١٣٤)].

والغرلة هي الجلدة التي تُقطع من ذكر الطفل عند الختان، وتسمى القُلْفة. كما بالنهاية لابن الأثير.

وقد مر بنا في حديث بريدة قال: فلما جاء الإسلام كنا نذبح شاة، (أي عن الطفل) ونحلق رأسه ونلطخه بالزعفران.

وعن عليٍّ قال: عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن شاة، وقال: «يا فاطمة، احلقي رأسه، وتصدّقي بزنة شعره فضة»، فوزناه فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم(١).

وهنا تنبيه: وهو أن بعض الناس يعجبهم جمة الطفل وكثافة الشعر عليه، فيترددون في الحلق لأن رأسه سيصير أجلح أقرع، والبعض يزيدهم ترددًا بقوله: رأس الولد طري، لا يتحمل الحلاقة ! ومما لا شك فيه أن هذا إما جهل بالشرع، وإما ضعف في الالتزام بالشرع.

(١٦) وينهَى ﷺ عن تشويه رأس الصبي بالقزع:

والقَزَع: هو أن يحلق رأس الصبي ويُترك منه مواضع متفرقة غير محلوقة تشبيهًا بقزع السحاب(٢).

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، قال: قلت لنافع وما القزع؟ قال: يُحلق بعض رأس الصبي ويُترك بعض(٣).

والمقصود والمطلوب أن يكون الحلق من جميع الرأس، لأن حلق البعض وترك البعض الآخر، يتنافى مع الشخصية الإسلامية التي يتميز بها المسلم عن بقية الملل والمعتقدات، وعن سائر أهل الفسوق والميوعة والانحلال.

وقد يكون في هذا القزع تشبُّهًا بالكفار، وفي الصحيحين(٤) أن معاوية رضي الله عنه رأى قُصَّة من شعر كانت في يد أحد الحُرَّاس فقال: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهَى عن مِثل هذه ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم»، ثم قال معاوية: ما كنت أرى أن أحدًا يفعله إلا اليهود. اهـ.

فوجب تركه لأنه فِعلُ اليهود. وصحيح أن قُصة الشاب القازع ليست كالقُصة في حديث معاوية، لكن وجه الشبه بينهما التشبه بغير المسلمين.

(١٧) ويداعب ﷺ الصبي الصغير بلسانه وفمه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (كان لَيَدلَع (يخرج) لسانه للحسن بن عليٍّ، فيرى الصبي حُمرة لسانه، فيبهش إليه)(٥). أي يعجبه ويسرع إليه. وهذا من ملاطفته ﷺ

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

للأطفال.

وعنه أيضًا قال: خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئًا على يدي فطاف فيها ثم رجع فاحتبى (أي جلس على مقعدته وهو يشبك ذراعيه حول ركبتيه) في المسجد، وقال: «أين لَكَاع؟ ادعوا لي لكاع»، فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته، فأدخل ﷺ فمه في فمه، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه (ثلاثًا)». قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني(٦). ولَكَاع ولُكَع هو الصغير قليل الجسم، وتطلق على قليل العلم الغبي الأحمق(٧).

(١٨) ويكنّي النبي ﷺ أهل الطفل باسمه:

عن أبي شريح أنه كان يُسمَّى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو الحكَم، وإليه الحكْم». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟». فقلت: شُرَيْح ومسلم وعبد الله، قال: «مَن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «أنت أبو شريح»(٨). وشريح من الشرح، وهو الانبساط وانشراح الصدر، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾.

(١٩) ويهتم ﷺ بختان الطفل (سُنة الفطرة):

عن أسامة عن أبيه رضي اللهُ عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الختان سنة للرجل، مكرمة للنساء»(٩). ويسمِّيه البعض: الطِّهار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الآباط»(١٠).

ولكن متى يكون الختان؟ قال ابن عباس: كانوا لا يختنون الغلام حتى يُدرك. قال الميموني: سمعتُ أحمد يقول: كان الحسن يكره أن يُختَن الصبي يوم سابعه، وقال حنبل: إن أبا عبد الله

بقلم

جمال عبد الرحمن

قال: وإن خُتِن يوم السابع فلا بأس، وإنما كره الحسن ذلك لئلا يتشبه باليهود، وليس في هذا شيء. قال مكحول: خَتَن إبراهيم ابنه إسحاق لسبعة أيام، وختن إسماعيل لثلاث عشرة سنة، ذكره الخلاَّل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فصار ختان إسحاق سُنَّة في ولده، وختان إسماعيل سُنَّة في ولده، وقد تقدم الخلاف في ختان النبي صلى الله عليه وسلم متى كان ذلك(١١).

قلت: قد ذكر ابن القيم هذا الخلاف وخلاصته أنه قيل: إنَّ النبي ﷺ وُلد مختونًا، وليس في ذلك حديث ثابت، القول الثاني أنه خُتن يوم شق الملائكة قلبه عند مرضعته حليمة، القول الثالث: أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمدًا. وكل ذلك لم يثبت بالدليل، ثم ختم ابن القيم بقول كمال الدين بن العديم أنه ﷺ خُتِن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبةً مُغْنيًا عن نقل معين فيها، والله أعلم(١٢).

هذا مع ما في الختان من الطهارة والنظافة والتزيين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة، التي إذا أُفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عَدمت بالكلية ألحقته بالجمادات، فالختان يعدِّلها، ولهذا تجد الأقلف من الرجال والقلفاء من النساء لا يشبعان من الجماع.. ولا يخفى على ذي الحس السليم قبح الغُرلة(١٣)، وما في إزالتها من التحسين والتنظيف والتزيين)(١٤).

(٢٠) ويُجلسهم على حَجره صلى الله عليه وسلم وعلى فخذه ويشفق على مرضاهم:

من الأخلاق الكريمة في رسولنا ﷺ أنه كان يُؤتى بالصبي الصغير فيُجلسه في حجره ﷺ حتى أن الصبي لَيبول في حجر النبي فلا يرفعه

إلى أهله حتى لا يظنوا أنه تضجر من ذلك.

عن أم قيس بنت محصن قالت: دخلت على رسول الله ﷺ بابن لي لم يأكل بعد، فبال عليه، فدعا بماء فرشَّه. متفق عليه.

وعن أم كُرز الخزاعية قالت: أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم بغلام فبال عليه، فأمر به فنُضح، وأُتِيَ بجارية فبالت عَليه فأمر به فغُسل(١٥).

وعن أسامة بن زيد رضي اللَّهُ عنهما قال: كان نبي الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويُقعد الحسن بن عليٍّ على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»(١٦).

وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام وقد أعلقت عليه(١٧) من العُذرة قالت: فقال رسول الله ﷺ: «علامَ تدغَرْن (الضغط باليد على مكان الألم) أولادكن بهذا الإعلاق؟ عليكم بالعود الهندي (يعني به الكُسْت وهو عود يُجعَل في البخور والدواء) فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب» (السُّل أو ذبول الجسم أو قرحة في البطن) قال عبيد الله: وأخبرتني أن ابنها ذاك بال في حَجر النبي ﷺ فدعا رسول الله ﷺ بماء فنضحه ولم يغسله غسلاً(١٨).

وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى.

الهوامش

(١) الترمذي، كتاب الأضاحي ١٤٣٩. وأحمد، مسند القبائل ٢٥٩٣٠، والهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: إسناده حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح ج٤ ص ٥٧، وانظر فتح الباري ج ٩ص ٥٩٥.

(٢) النهاية لابن الأثير، باب: قزع.

(٣) البخاري، كتاب اللباس ٥٤٦٥. مسلم، كتاب اللباس والزينة ٣٩٥٩. وابن ماجه كتاب اللباس ٣٦٢٧. وأحمد، مسند المكثرين ٤٩٢٨. وهذا اللفظ لمسلم.

(٤) مسلم ج٢ ح ١١٢٩ البخاري ج٣ ح ٣٢٨١

(٥) السلسلة الصحيحة (٧٠).

(٦) البخاري، كتاب اللباس ٥٤٣٤. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤٤٤٦ وأحمد، باقي مسند المكثرين ١٠٤٧١ واللفظ له. والترمذي وابن ماجه.

(٧) النهاية لابن الأثير، باب: لكع.

(٨) أبو داود، كتاب الأدب ٤٣٠٤، والنسائي آداب القضاة ٥٢٩٢. وابن حبان في صحيحه ج٢ ح ٥٠٤، والحاكم ج١ ح٦٢، وصحيح الأدب المفرد للألباني ح٦٢٣ .

(٩) أحمد، في مسند البصريين ١٩٧٩٤، وقال ابن حجر في فتح الباري: والحديث لا يثبت.. لكن له شاهد أخرجه الطبراني في مسند الشاميين من طريق سعيد بن بشر عن قتادة عن جابر عن ابن عباس وسعيد مختلف فيه، وأخرجه أبو الشيخ والبيهقي من وجه آخر عن ابن عباس، وأخرجه البيهقي أيضًا من حديث أبي أيوب، فتح الباري ج١٠ ص ٣٤١ .

(١٠) البخاري، كتاب اللباس (٥٤٤١).

(١١) زاد المعاد ج٢ ص ٣٠٤.

(١٢) زاد المعاد، ج١ ص ٨٠- ٨١.

(١٣) الغرلة: ما يقطع من البشرة والجلد عند الختان، وتسمى القلفة. لسان العرب.

(١٤) تحفة المودود، ص ١٥٤.

(١٥) أحمد، مسند القبائل ٢٦١٠٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص٢٨٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(١٦) البخاري، كتاب الأدب ٥٥٤٤. وأحمد، مسند الأنصار ٢٠٧٨٨.

(١٧) الإعلاق: هو معالجة عذرة الصبي، وهي الوجع والورم الذي في حلقه، تدفعه الأم بالضغط عليه بأصبعها. وقيل هي قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحلْق تعرض للصبيان فتعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها فتلاً شديدًا وتدخلها في أنفه فتطعن ذلك الموضع فيتفجر منه دم أسود وربما أقرحه، وذلك الطعن يسمَّى الدَّغْر، يقال عذرت المرأة الصبي، إذا غمزت حلْقه من العُذرة. النهاية لابن الأثير باب: علق، عذر، دغر.

(١٨) البخاري ج ٥ ح ٥٣٨٣.

سوء الظن وخطره على المجتمع

بقلم
أسامة العوضي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وبعد لقد حث الإسلام أتباعه أن يتآخوا ويتحابوا وحرم عليهم كل ما من شأنه أن يكون سببًا للفرقة أو التباغض ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» (رواه مسلم والترمذي).

وأمر الإسلام أتباعه أن يسدوا منافذ الشيطان التي ينفذ منها إلى القلوب فيفسدها ويوقع التباغض والفرقة بين أصحابها، ومن هذه المنافذ سوء الظن بالآخرين.

معنى سوء الظن:

ومعنى سوء الظن هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن ذلك إثم فيجتنب الكثير منه احتياطًا.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة). وقد عد كثير من العلماء السابقين سوء الظن من الكبائر.

والأصل في التعامل بين الناس هو حسن الظن بهم، ويتعامل الناس فيما بينهم بظواهرهم ويترك بواطنهم لله سبحانه وتعالى لأنه أعلم بخلقه ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾. ولذلك يقول عمر بن الخطاب: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها من الخير محملا.

سوء الظن يجر الناس إلى المفاسد :

إن سوء الظن يوقع الناس في كثير من المفاسد وهي:

أولا: تتبع العورات:

إذا أساء العبد الظن بغيره حمله ذلك على أن يتتبع أخباره وعوراته فيقع فيما حرم الله، ولقد حذر النبي ﷺ من تتبع عورات المسلمين فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته» (رواه أحمد وأبو داود عن أبي برزة الأسلمي وهو صحيح).

ثانيًا التجسس:

وقد يحمل سوء الظن إلى التلصص على الناس والتسمع إلى حديثهم وهم له كارهون، وقد نهى الله عن التجسس فقال: ﴿ولا تجسسوا﴾، وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك(١)» (صحيح رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس).

ثالثًا الغيبة والنميمة:

وقد يحمل سوء الظن صاحبه على نقل أخبار ذلك الإنسان والوقوع في الغيبة والنميمة وهما كبيرتان قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾، وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (رواه الترمذي عن أبي هريرة وهو صحيح)، وعن حذيفة مرفوعًا «لا يدخل الجنة قتات» أي نمام والحديث رواه الشيخان.

رابعًا قذف المحصنات:

وربما تمادى الإنسان في سوء الظن بأخيه والوقوع في عرضه حتى يقذفه بالزنى بمجرد الظن وهو أيضًا من الكبائر، سواء كان لامرأة أو لرجل لأن العلماء فسروا قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ قالوا: الأنفس المحصنات، وبذلك دخل الرجل والمرأة على السواء وهو من الكبائر أيضا إلى غير ذلك من الكبائر نسأل الله العافية.

هامش

(١) الآنك: هو الرصاص المغلي.

جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام

إدارة الدعوة والإعلام
المسابقة الصيفية للبحوث العلمية

تعلن إدارة الدعوة والإعلام عن المسابقة الصيفية للبحوث العلمية، التي تتضمن الكتابة في أحد الموضوعات الآتية:

١- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ اكتب في ضوء هذه الآية الكريمة أن المستقبل للإسلام.

٢- قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. اشرح في ضوء الآية الكريمة أثر الحروب الصليبية على نظرة الغرب للإسلام في العصر الحديث.

٣- سمات وخصائص القيادة الفذّة من خلال غزوات الرسول ﷺ.

٤- حقوق الإنسان في شريعة الإسلام.

٥- العقيدة الإسلامية أثرها وخصائصها دراسة مقارنة.

٦- أثر المعاصي والذنوب على حياة الأمم والشعوب.

٧- الجهاد في سبيل الله والدفاع عن المقدسات الإسلامية واجب على الأمة. اكتب موضحًا فضل الجهاد ومكانة الشهداء في الإسلام.

شروط المسابقة

١- لا يقل البحث عن ستين صفحة فلوسكاب.
٢- أن يكتب بخط واضح ويفضل على الآلة الكاتبة أو الكمبيوتر.
٣- ألا يقل سن المتسابق عن ١٨ سنة ولا يزيد عن ٤٠ سنة.
٤- تسليم الأبحاث في موعد غايته شهران من تاريخ الإعلان.
٥- جوائز المسابقة:
١- الأول: ٦٠٠ جنيه
٢- الثاني: ٥٠٠ جنيه.
٣- الثالث: ٤٠٠ جنيه.
٤- الرابع: ٣٥٠ جنيه.
٥- الخامس: ٣٠٠ جنيه.
٦- السادس: ٢٥٠ جنيه.
٧- السابع: ٢٠٠ جنيه.
٨- الثامن: ١٥٠ جنيه.
٩- التاسع: ١٢٥ جنيه.
١٠- العاشر: ١١٠ جنيهات.
ومن الحادي عشر إلى العشرين ١٠٠ جنيه.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه. والله من وراء القصد.

سكرتير إدارة الدعوة
جمال السيد قاسم

مدير إدارة الدعوة والإعلام
د. الوصيف علي حزة

••• بشرى عظيمة •••

الأخوة قراء مجلة التوحيد نحن معكم في مسيرة تطوير مجلتكم الحبيبة انتظروا معنا في الشهر القادم التوحيد فى ثوبها الجديد.

ويلٌ للمطففين

كتبه: صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

كثيرًا ما نرى رجلين متخاصمين في أمر من أمور الدنيا، وإذا بالذي عليه الحق يسارع في جلب شاهد- قد فسد طبعه- فأدلى بشهادة زور تخالف واقع الحال فأُعطي الحق إلى غير صاحبه.

وكثيرًا ما نرى أيضًا رجلاً قد أوكل إليه الإشراف على مال يتيم ورعاية شئونه على أن يأكل منه بالمعروف، فما كان منه إلا أن خربت ذمته وأخذ يأكل من هذا المال الذي بين يديه بدون إنصاف.

وإذا كان بين ظهرانينا قاض يحكم بين الناس بغير الحق فلا ينتصف للمظلوم ولا يعيد الحق إلى أصحابه وتبلد قلبه وساءت ظنونه فلم يعد يهتدي إلى الصواب.

وإذا وجد بين الناس من يطفف المكيال والميزان، بحيث إذا كال لنفسه زاد في الكيل وإذا كال لغيره أنقص منه، همه في ذلك أن يكسب المال الزائد، ظانًا- وظنه خاطئ- أن ربحه سيزداد يومًا بعد يوم إذا ما استمر على هذا الحال فعميت بصيرته عن معرفة الحقيقة فأمعن في الإساءة.

فذلك الذي شهد الزور وكان سببًا في ضياع الحق عن صاحبه سيلقى هو ومن شهد له قطعة من نار يوم القيامة يوم العرض على الله تعالى، كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ.

وذلك الذي أكل مال اليتيم ظلمًا وعدوانًا، وما رعاه حق رعايته ستكون عاقبة أمره خسرًا وسيبوء بغضب من ربه وهو يأكل النار، كما أشارت لذلك الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: ١٠].

وهذا الذي يجور في حكمه، فلا يعطي الحق صاحبه ولا يقتص من الظالم، فهو من الأخسرين الأذلين عند الله، وسيحشر يوم القيامة في ظلمات بعضها فوق بعض.

وذلك الذي يطفف الكيل والميزان ولا ينظر إلا إلى مصلحته ولم يراع مصلحة غيره، سيصيبه الويل والدمار يوم العرض على الله، وسيتبوأ مقعده في جنهم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين:١-٣]. فجميع أولئك من شهود الزور وآكلي مال اليتيم والقضاة الظلمة ومن يطفف الميزان وغيرهم من الذين ظلموا أنفسهم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أخذتهم الدنيا بزخارفها، وغرتهم الأماني فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم فأصبحت كالحجارة، ولم يضعوا في حسبانهم أن لهم يومًا يقفون فيه للحساب بين يدي الله، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فعلى العاقل أن يتأمل في نفسه، ويعلم أن له يومًا يصير فيه إلى القبر، وليتأمل في حال من سبقه ومن كانت الدنيا تزهو بين أيديهم، فإذا هم في لحظة يتحدث الناس عن مصائرهم وما آلوا إليه.

ولا ينفع حينذاك المال الذي يؤكل عن طريق السحت الحرام من مال اليتيم وشهادة الزور ومن تطفيف الكيل والميزان، كما لا يفيد الجاه ولا السلطان، ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]، لا يفيد ذلك كله، فإنه زائل لا محالة، ولا يتبع الميت يوم موته إلا ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع الأهل والمال ويبقى معه العمل، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالبدار البدار لطاعة الله والتفكر في هول ذلك اليوم العظيم الذي يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، لنحيا الحياة الطيبة الكريمة التي أرادها الله لنا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

والله من وراء القصد.

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتوى
بالمركز العام

محمد صفوت نور الدين
د. جمال المراكبي

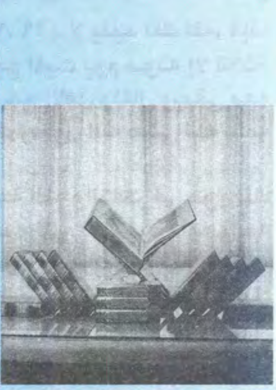

توقيت تكبيرة الانتقال !!

يسأل: علم الدين عبد العزيز عبد الرحمن- دكرنس- دقهلية:

١- أيهما أصح في وقت التكبير للإمام؛ إذا فرغ من القراءة كبر ثم ركع، أو ركع ثم كبر؟

الجواب: الأمر في ذلك واسع، يكبر ثم يركع، أو يكبر حين ينتقل للركوع والسجود، وكل ذلك صح به الحديث عن النبي ﷺ، ففي البخاري عن مطرف بن عبد الله قال: صليت خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا وعمران بن حصين، فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ. (البخاري ح٧٨٦).

وفي البخاري أيضًا عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: «سمع الله لمن حمده» حين يرفع من الركعة- أي الركوع- ثم يقول وهو قائم: «ربنا لك الحمد»، ثم يكبر حين يهوى، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس (البخاري ح٧٨٩).

قال النووي: في الحديث دليل على مقارنة التكبير للحركة وبسطه عليها، فيبدأ بالتكبير حين يشرع في الانتقال إلى الركوع، ويمده حتى يصل إلى حد الركوع.

قال ابن حجر: ودلالة هذا اللفظ على البسط الذي ذكره غير ظاهر. اهـ «فتح الباري».

قُلْتُ: والأمر في ذلك واسع، بل جاء في سنن أبي داود: ثم يقول: «الله أكبر»، ثم يسجد، ثم يقول: «الله أكبر»، ويرفع رأسه حتى يستوي قاعدًا. [«صحيح أبي داود» (٧٦٣)]. والله أعلم.

كيفية الصلاة عند فقد صوت الإمام بانقطاع الكهرباء؟

٢- مصلى النساء في الدور الثاني ولا يرين الإمام وأحيانًا تنقطع الكهرباء فلا يسمعن التكبير، فهل الأولى تكميل الصلاة على ما كان أم إعادة الصلاة، وإذا كان الأمر يتكرر كثيرًا بعدم وصول صوت الإمام للنساء فهل الأولى أن يصلين فرادى؟

الجواب: إذا انقطع التيار الكهربائي، ولم يصل صوت الإمام في التكبير والتسميع إلى بعض المأمومين، خاصة في مصلى النساء، وجب على بعض المأمومين أن يبلغ التكبير إلى من يظن أنه لا يسمع صوت الإمام من المأمومين، فإن لم يقم أحد من المأمومين بالإبلاغ، صلى المأمومون خلف الإمام على حسب غلبة الظن، فإن عجزوا عن ذلك صلى كل واحد منهم منفردًا متممًا لما أدركه قبل انقطاع صوت الإمام لاستحالة المتابعة حينئذاك، قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾.

ولا يجوز للمأمومين أن يصلوا فرادى ابتداءً كما يقول السائل، بل تتعين عليهم الجماعة إذا حضرت الجماعة رجالاً ونساءً؛ لقول النبي ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة».

ولقوله ﷺ لمن ترك الجماعة وتنحى في ناحية المسجد لأنه صلى في رحله: «إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا مع الجماعة تكن لكما نافلة». والله تعالى أعلم.

أحكام الحائض نحو المصحف والمسجد !

يسأل سائل: هل يجوز للحائض مس المصحف والقراءة فيه، وهل يجوز لها دخول المسجد لسماع درس علم؟

الجواب: الحائض لا تمكث في المسجد ولا تقرأ القرآن ولا تمس المصحف على الراجح من أقوال أهل العلم، واستثنى بعض أهل العلم مَن كانت معلمة للقرآن الكريم أو متعلمة، أو كان لها حزب يومي وتخشى من نسيان ما تحفظ من القرآن الكريم، فإنه يجوز لها مس المصحف والقراءة فيه، وقد سبق نشر فتوى مفصلة في ذلك. والله أعلم.

استعاذة النبي ﷺ من موت الفجأة !

ويسأل سائل: هل موت الفجأة يعتبر من علامات حسن الخاتمة؟

الجواب: موت الفجأة ليس من علامات حسن الخاتمة كما يردد بعض الناس، بل إن النبي ﷺ كان يتعوذ من موت الفجأة في معظم صوره، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا». [صحيح سنن النسائي (٥٥٤٦)].

وموت الفجأة يستعاذ منه؛ لأنه ربما يأتي على غفلة أو على غير طاعة أو غير توبة فيستعاذ بالله من ذلك. والله أعلم.

لا يقبل الله صلاة بغير طهور !

ويسأل سائل: استيقظ رجل من نومه فظن أنه جنب ولم يجد أثرًا لذلك، فصلى صلاة الظهر في جماعة، ولما أتى وقت العصر دخل دورة المياه فوجد بقعة بيضاء في ثوبه الداخلي، فقدمه بعض الناس فاستحى منهم وصلى بهم صلاة العصر وهو إمام، فما حكم الشرع في ذلك؟

الجواب: عليه أن يتوب إلى الله وأن يقضي صلاتي الظهر والعصر، فإنه لا تصح الصلاة بغير طهارة، كما قال النبي ﷺ: «لا صلاة بغير طهور»، وفي رواية: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور»، وأما من صلى خلفه صلاة العصر فصلاتهم صحيحة، ولا شيء عليهم. واللهُ أعلم.

أحكام للمسلمين في محاكم الذّمّيين !!

يسأل بعض المسلمين من الأقليات الإسلامية في أوروبا عن حكم التقاضي إلى محاكم غير المسلمين عند فقدان القضاء المسلم، وهل يُعد من التحاكم إلى الطاغوت؟ وهل يترك المسلم حقه أم يسعى إليه بكل وسيلة ممكنة؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أمَّا بعد...

فيجوز للإخوة الذين أصابهم الضرر في بلد يتغلب عليه غير المسلمين أن يدفعوا عن أنفسهم بكل الوسائل الممكنة والمتاحة لهم، ولو عن طريق اللجوء إلى المحاكم في هذه البلاد ومعلوم أنها لا تطبق شريعة الإسلام ولكن يحكمها نوع من العدل المتعارف عليه بين الناس.

وهذا اللجوء ليس على سبيل الاختيار، وإنما على سبيل الاضطرار ليدفع المسلم عن نفسه بقدر المستطاع ومعلوم أن حالة الإخوة في مثل هذه البلاد، وكذلك كل الأقليات المسلمة في بلاد غير مسلمة تشبه حالة المسلمين قبل الهجرة من مكة إلى المدينة.

لقد دخل النبي ﷺ مكة في حماية مشرك وهو المطعم بن عدي، وذلك حين عاد من الطائف، وأقر النبي ﷺ صنيع الذين سعوا في نقض الصحيفة الجائرة التي حوصر بمقتضاها المسلمون في شعب أبي طالب.

ووقف المسلمون في الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب يدفعون عن أنفسهم أمام النجاشي في قصة صحيحة مشهورة.

وطالما أن الجماعة المسلمة تمارس العبادة في حرية وتمارس الدعوة إلى الله في حرية، فعليها أن تتخذ كل السبل الممكنة التي تمكنها من ممارسة هذه الدعوة على الوجه الأمثل.

إذن فعند فقدان القضاء الإسلامي يجوز للمسلم أن يتقاضى أمام محاكم الكفّار. لنيْل حقه وإثباته، إذْ إثبات الحق لا يُترك إذا لم يتيسّر إقامته على وجه الكمال، فالميسور لا يسقط بالمعسور.. والمقام هنا مقام إثبات الحقوق، لا مقام التعبد الذي يشترط فيه الإيمان، ولا مقام التشريف والتكريم للأديان وأهل الأديان. وحالة الأمم الاجتماعية والسياسية والأدبيّة لها شأن كبير في تطبيق الأحكام على الوقائع. وهو ما يسميه علماء الأصول «تحقيق المناط» لهذا أعرض بعض فقهاء العصور الأولى عن التقاضي أمام محاكم الكفار؛ لقوتهم وبسط

نفوذ المسلمين على الكافرين. ولكن.. لما تبدَّل الحال، وصرنا إلى ما نحن عليه من الضعف، وسيطرة المستعمر على كثير من بلدان المسلمين. قرر كثير من الفقهاء، التوسعة في القضاء والإشهاد بالتحاكم إلى الذميين، وجواز شهادتهم على المسلمين.

واستشهدوا بهاتين الآيتين في سورة المائدة: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:١٠٦، ١٠٧].

وقد أجاز ذلك: أبو حنيفة، وشريح، وإبراهيم النخعي، والأوزاعي، وأجازوا شهادة الكفار بعضهم على بعض؛ لأن النبيّ ﷺ - رجم يهوديين بشهادة اليهود عليهما بالزنى وعن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة «بِدَقُوقَاء» هذه. ولم يجد أحدًا من المسلمين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب. فقدما الكوفة وأتيا الأشعري - يعني أبا موسى فأخبراه، وقدِمَا بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله - ﷺ - فأحْلَفَهُمَا بعد العصْرِ بالله، ما خانَا ولا كذَبَا، ولا بدَّلا، ولا كتَما، ولا غيَّرا، وإنها لَوَصِيَّةُ الرجلِ وتركته. فأمْضَى شهادتهما. قال الخطابي: فيه دليل على أن شهادة أهلِ الذمّة مقبولة على وصيّة المسلم. وتَحدَّثَ في هذا كثير من علماء السلف وأئمة الفقه كما لخص الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، ونقله الشوكاني عنه في نيل الأوطار في شرح حديث ابن عباس في قصة السهمي التي رواها البخاري وأبو داود. وقال الشوكاني بعد ما نقل ما نقل من الفتح: وهذا الحكم يختص بالكافر الذمي.. إلا أن رشيد رضا ردّ عليه بما نقله عن ابن جرير. واختار أن «غيركم» في الآية. يدخل فيها المجوس وعبدة الأوثان، وأهل كل دين، واستأنسوا في التحاكم إليهم بقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾. وبقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، فهذه شهادة لهم بالأمانة وهي ملزمة لإثبات عدالتهم كما قال الحافظ ابن حجر.. فجاز التقاضي إليهم إذا لم يوجد للمسلمين محاكم وقضاء ولم يكن لهم سلطان وغلبة. حتى لا تضيع حقوق المسلمين، وتتبدد ثرواتهم، فيضعفوا ويَذِلُّوا. والله أعلم.

فتاوى

أجاب عليها
سماحة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

صلاة الموظف أثناء العمل !!

سُئل: هل الأفضل في حق الموظف المبادرة إلى الصلاة عند سماع الأذان، أو الانتظار لإنجاز بعض المعاملات؟ وما حكم التنفل بعدها بغير الرواتب؟

الجواب: الأفضل في حق جميع المسلمين المبادرة إلى الصلاة عند سماع الأذان؛ لأن المؤذن يقول: «حي على الصلاة»، والتثاقل عنها يؤدي إلى فواتها.

أما التنفل بعد الصلاة بغير الراتبة فلا يجوز؛ لأن وقته مستحق لغيره بمقتضى عقد الإجارة أو الوظيفة، وأما الراتبة فلا بأس بها لأنها مما جرت العادة بالتسامح فيه من المسئولين. والله الموفق.

هل تدرك الجماعة بالتشهد الأخير؟!

سُئل: مصلٍّ دخل والإمام في التشهد الأخير فهل يدخل مع الجماعة أو ينتظر جماعة أخرى؟ أفتونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب: إذا دخل الإنسان والإمام في التشهد الأخير فإن كان يرجو وجود جماعة لم يدخل معه، وإن كان لا يرجو ذلك دخل معه؛ لأن القول الراجح أن صلاة الجماعة لا تدرك إلا بركعة؛ لعموم قول النبي ﷺ: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة». متفق عليه.

وكما أن الجمعة لا تدرك إلا بركعة، فكذلك الجماعة، فإذا أدرك الإمام في التشهد الأخير لم يكن مدركًا للجماعة، فينتظر حتى يصليها مع الجماعة التي يرجوها، أما إذا كان لا يرجو جماعة فإن دخوله مع الإمام ليدرك ما تبقى من التشهد خير من الانصراف عنه.

حكم الصلاة خلف العصاة !!

سُئل: هل تصح الصلاة خلف العاصي؟

الجواب: الصلاة خلف المسلم وإن فعل بعض المعاصي جائزة وصحيحة على القول الراجح، ولكن الصلاة خلف من كان مستقيمًا أفضل بلا شك، أما إذا كان الإنسان يستعمل أشياء مكفرة تخرج عن الملة الإسلامية فإنه لا تجوز الصلاة خلفه، وذلك لأن صلاته غير صحيحة، فإن لم يكن مسلمًا فصلاته غير صحيحة، وإذا كانت صلاة الإمام غير صحيحة، فإنه لا يمكن الاقتداء به؛ لأنك تقتدي بغير إمام وتنوي الإمامة بغير إمام.

الدفن الشرعي للميت !!

سُئل: في بعض البلاد يدفنون الميت على ظهره، ويده على بطنه، فما الصواب في دفن الميت؟

الجواب: الصواب أن الميت يُدفن على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، فإن الكعبة قبلة الناس أحياءً وأمواتًا، وكما أن النائم ينام على جنبه الأيمن، كما أمر بذلك النبي ﷺ، فكذلك الميت يضجع على جنبه الأيمن، فإن النوم والموت يشتركان في كون كل منهما وفاة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]، فالمشروع في دفن الميت أن يضجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، ولعل ما شاهده السائل كان نتيجة عن جهل من يتولى ذلك، وإلا فما علمت أحدًا من أهل العلم يقول: إن الميت يضجع على ظهره، وتجعل يداه على بطنه.

هل تجمع صلاة العصر إلى الجمعة ؟!

سُئل: ما حكم جمع صلاة العصر إلى صلاة الجمعة؟ وهل يجوز لمن كان خارج البلد الجمع؟

الجواب: لا تجمع العصر إلى الجمعة؛ لعدم ورود ذلك في السنة، ولا يصح قياس ذلك على جمعها إلى الظهر للفروق الكثيرة بين الجمعة والظهر، والأصل وجوب فعل كل صلاة في وقتها إلا بدليل يجيز جمعها إلى الأخرى.

ويجوز الجمع لمن كانوا خارج البلد يقيمون اليومين والثلاثة لأنهم مسافرون، أما إذا كانوا في ضواحي البلد القريبة بحيث لا يعدون مسافرين فلا يجوز لهم الجمع، والكلام هنا في الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء لا بين الجمعة والعصر، فلا يجوز بكل حال.

لا يجوز الصلاة خلف إمام الراديو !!

سُئل: هل يجوز للمسلم أن يصلي مع الصلاة التي تنقل في التلفاز أو الإذاعة من دون أن يرى الإمام خصوصًا للنساء؟

الجواب: لا يجوز للإنسان أن يقتدي بالإمام بواسطة الراديو أو بواسطة التلفاز؛ لأن صلاة الجماعة يقصد بها الاجتماع، فلا بد أن تكون في موضع واحد، أو تتصل الصفوف بعضها ببعض، ولا تجوز الصلاة بواسطة تلك الأجهزة، وذلك لعدم حصول المقصود بهذا، ولو أننا أجزنا ذلك لأمكن كل واحد أن يصلي في بيته الصلوات الخمس، بل والجمعة أيضًا، وهذا منافٍ لمشروعية الجمعة والجماعة، وعلى هذا فلا يحل للنساء ولا لغيرهن أن يصلي أحد منهم خلف المذياع أو خلف التلفاز. والله أعلم.

قراءة القرآن على القبور بدعة !

سُئل: ما حكم قراءة القرآن على القبور والدعاء للميت عند قبره، ودعاء الإنسان لنفسه عند القبر؟

الجواب: قراءة القرآن على القبور بدعة ولم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وإذا كانت لم ترد عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، فإنه لا ينبغي لنا نحن أن نبتدعها من عند أنفسنا؛ لأن النبي ﷺ قال فيما يصح عنه: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». والواجب على المسلمين أن يقتدوا بمن سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، حتى يكونوا على الخير والهدى؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ».

وأما الدعاء للميت عند قبره فلا بأس به، فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما يتيسر، مثل أن يقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم أدخله الجنة، اللهم افسح له في قبره.. وما أشبه ذلك.

وأما دعاء الإنسان لنفسه عند القبر، فهذا إذا قصده الإنسان فهو من البدع أيضًا؛ لأنه لا يخصص مكان للدعاء إلا إذا ورد به النص، وإذا لم يرد به النص ولم ثات به السنة فإنه- أعني تخصيص مكان للدعاء- أيًا كان ذلك المكان، يكون تخصيصه بدعة.

إمامة المتنفل للمفترض !

سُئل: هل تجوز صلاة المفترض خلف المتنفل، والمتنفل خلف المفترض؟

الجواب: يجوز ذلك، كما يجوز صلاة الظهر خلف إمام يصلي العصر، وصلاة العصر خلف إمام يصلي الظهر؛ لأن لكل امرئ ما نوى، ولهذا قال الإمام أحمد: إذا دخلت والإمام يصلي التراويح وأنت لم تصلّ العشاء فصل خلفه، فهي لك فريضة وله نافلة.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها
أبو إسحاق الحويني

يسأل الطالبُ: وائل السيد إبراهيم مكي- الإسكندرية- عن درجة هذا الحديث:

«إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء». قالوا: وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «إذا كان المغنمُ دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاةُ مغرمًا، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكان زعيمُ القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشُربت الخمور، ولُبس الحريرُ، واتخذت القيناتُ والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا ومسخًا».

ويقول: أرجو تفسير قوله: «إذا كان المغنم دولاً».

الجواب: أن هذا حديثٌ باطل كما قال الدارقطني. أخرجه الترمذي (٢٢١٠)، ومن طريقه ابنُ الجوزي في «الواهيات» (٢/٣٦٧) قال: حدثنا صالح بنُ عبد الله الترمذيُّ، وابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٠٧) من طريق قتيبة بن سعيد والربيع بن ثعلب، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/١٥٨) من طريق محمد بن الفرج بن فضالة. والشجري في «الأمالي» (٢/٢٥٤- ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٦٨) من طريق إبراهيم بن علي البزار، وعبد الرحمن بن واقد، والربيع بن ثعلب قالوا: ثنا الفرج بن فضالة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن عمر بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ.

قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفُهُ من حديث علي بن أبي طالب إلاَّ من هذا الوجه، ولا نعلمُ أحدًا رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري، غير الفرج بن فضالة، والفرجُ بنُ فضالة قد تكلَّم فيه بعضُ أهل الحديث، وضعَّفه من قبل حفظه»، وقال ابنُ حبان: «فرج بن فضالة كان ممن يقلب الأسانيد، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد

الصحيحة، لا يحلُ الاحتجاج به».

وقال أحمد بن حنبل: «حديثه عن يحيى بن سعيد مضطرب»، وكذلك قال ابن مهدي والبخاري ومسلمٌ وزكريا الساجي وآخرين ضعفوه، لا سيما في روايته عن يحيى بن سعيد الأنصاري. وهذا الحديث منها، وسئل الدارقطني عن هذا الحديث فقال: «هذا باطل»، فقال له البرقاني: «من جهة فرج؟» قال: «نعم»، وأبدى ابنُ الجوزي علَّة أخرى، فقال: «محمد بن علي لم ير عليّ بن أبي طالبٍ». وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة مرفوعًا، فذكر مثله، أخرجه الترمذي (٢٢١١) وقال: «حديثٌ غريبٌ» يعني: ضعيفٌ. وآفته رميحُ الجذاميُّ مجهول كما قال ابن القطان والذهبي وابن حجر.

وأمّا قوله: «إذا كان المغنم دولاً»، فالمقصود: إذا كان مالُ الفيء يتداول بين الأغنياء وأصحاب المناصب، ويؤخذ غلبةً وأثرة، كما يصنع أهل الجاهلية فيكون لقوم دون قوم ويحرمه الفقراء، و«دولاً» يكون بضم الدال وكسرها، كما قال تعالى: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾. والله أعلم.

ويسأل القارئ: أحمد عبد الفتاح- كفر الشيخ- مدينة فوة عن درجة هذين الحديثين:

الأول: إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف.

الثاني: إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول. قيل: والصف الثاني؟ قال: والصف الثاني.

والجواب: أن الحديث الأول ضعيف.

أخرجه أبو داود (٦٧٦)، وابن ماجه (١٠٠٥)، وابنُ حبان (٣٩٣)، والبيهقي (١٠٣/٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٤/٣) من طريق أسامة بن زيد، عن عثمان بن عروة، عن عائشة مرفوعًا. قال البيهقي: «كذا قال! والمحفوظ بهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف». اهـ.

ويظهر أن هذا الوهم من أسامة بن زيد، فلم أقف على من تابعه. والله أعلم.

ومع هذا فقد حسنهُ الحافظ في «الفتح» (٢١٣/٢)، وسبقه المنذريُّ.

وأما الحديث الثاني: فهو حديثٌ صحيح.

أخرجه أبو داود (٦٦٤)، والنسائي (٨٩/٢- ٩٠)، وابنُ ماجه (٩٩٧)، والدارميُّ (٢٣٢/١)، وأحمد (٢٨٥/٤، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٤ و٢٦٢/٥)، والطيالسيُّ (٧٤١)، وابنُ خزيمة (٢٦/٣)، وابنُ حبان (٣٨٦)، وابنُ الجارود (٣١٦)، وعبد الرزاق (٤٥/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٧/٥)، والبيهقي (١٠٣/٣)، والحاكم ٥٧٢/١)، والفسوي في «المعرفة» (١٧٨/٣)، والعقيليُّ في «الضعفاء» (٨٦/٤) في آخرين من طرق عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب، وهو عند أحمد وغيره مطولٌ. وقد رواه عن طلحة بن مصرف خلقٌ ذكر منهم أبو نعيم نحوًا من ثلاثين نفسًا. والله أعلم.

-ويسألُ القارئ: سليمان بن عبد الرزاق- بورسعيد- عن درجة هذا الحديث الذي قرأه في كتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردي:

«همة السفهاء الرواية، وهمةُ العلماء الرعاية»؟

والجواب: أنه لا يصحُّ. فقد أخرجه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» عن الحسن البصري مرسلاً، ومراسيل الحسن شبهُ الريح.

ويسألُ القارئ: أحمد محفوظ- بركة السبع- منوفية عن درجة حديث معاذ بن جبل مرفوعًا: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»، وهل له شواهد.

والجوابُ: أنه حديثٌ صحيحٌ لشواهده.

أخرجه أبو داود (٢٦٠)، وابنُ ماجه (٣٢٨)، والحاكمُ (١٦٧/١)، والطبرانيُّ في «الكبير»

(ج٢/رقم ٢٤٧)، والخطابي في «الغريب» (١/١٠٧)، والبيهقي (١/٩٧) من طريق نافع بن يزيد، حدثني حيوة بن شريح، أن أبا سعيد الحميري حدّثه عن معاذ بن جبلٍ مرفوعًا فذكره. قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وجوَّد النووي إسناده في «المجموع» (٢/٨٦). ونقل الشوكاني في «السيل الجرار» (١/٦٥) أن ابن حجر حسّنهُ. كذا قال! وابنُ حجر قال في «تلخيص الحبير» (١/١٠٥): «صحَّحه ابنُ السكن والحاكمُ، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ أبا سعيد لم يسمع من معاذٍ، ولا يعرفُ هذا الحديث بغير هذا الإسناد. قاله ابن القطان». انتهى. فلعله قصد أن ابن حجر حسنهُ بشواهده، وهو كذلك كما يأتي إن شاء الله تعالى. وأما نقلُ ابن حجر أن ابن القطان قال: إن هذا الحديث لا يعرفُ إلا بهذا الإسناد، فوهم منه على ابن القطان؛ لأن ابن القطان قال في «الوهم والإيهام» (٣/٤١): «وأبو سعيد هذا لا يعرفُ في غير هذا الإسناد». ولذلك صرَّح بأنه مجهولٌ، وفرقٌ كبير بين النقلين. ولو سلمنا أن ابنَ القطان قال ما ذكره عنه ابن حجر فهو متعقب بما يأتي من الشواهد إن شاء الله تعالى.

ونقل المنذري في «الترغيب» (١/١٣٤) عن أبي داود أنه قال: «مرسل» قال: يعني: أن أبا سعيد لم يدرك معاذًا، ثم إن أبا سعيد هذا مجهول كما تقدَّم، وله شاهد من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا: «اتقوا الملاعن الثلاث: أن يقعد أحدُكم في ظل يستظل فيه، أو في طريق، أو في نقع ماءٍ». أخرجه أحمد (١/٢٩٩)، والخطابي في «الغريب» (١/١٠٨) من طريق ابن المبارك وابن وهبٍ قالا: ثنا ابنُ لهيعة، حدثني ابنُ هبيرة، قال: أخبرني من سمع ابن عباس مرفوعًا. قال الحافظُ في «التلخيص» (١/١٠٥): «فيه ضعفٌ لأجل ابن لهيعة، والراوي عن ابن عباسٍ مبهمٌ».

قُلْتُ: ابن المبارك وابن وهب من قدماء أصحاب ابن لهيعة، وروايتهم مع من سمعوا من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه متماسكةٌ.

ورواه أبو هريرة مرفوعًا بلفظ: «اتقوا اللَّعانين». قالوا: وما اللَّعانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلَّى في طريق الناس أو في ظلِّهم».

أخرجه مسلمٌ (٦٨/٢٦٩)، وأبو عوانة (١/١٩٤)، وأحمد (٢/٣٧٢)، وأبو داود (٢٥)، وابن حبان (١٤١٥)، وأبو يعلى (٦٤٨٣)، وابنُ خزيمة (١/٣٧)، وابنُ الجارود في «المنتقى» (٣٣)، وإسماعيل بن جعفر في «حديثه» (٢٩٣)، والبيهقي (١/٩٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١/٣٨٣) من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة.

ورواه ابنُ عدي في «الكامل» (٦/٢٣١٣) من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن العلاء بهذا، وقال: إن مسلمًا تفرَّد به وأن الحديث غير محفوظ. كذا قال! ولم يتفرَّد به الزنجي، فتابعه إسماعيل بن جعفر وسليمان بن بلال، ومحمد بن جعفر بن أبي كثير كما شرحته في «تنبيه الهاجد» (١٦٣٤)، والحمدُ للَّه.

وله شواهدُ أخرى. فأخرجه ابنُ عدي (٥/١٦٧٢) من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلَّى تحت شجرة مثمرة».

وفي إسناده عمر بن موسى الوجيهي، وليس له وجاهةٌ قطُّ، فإنه في عداد من يضعُ الحديث كما قال ابنُ عدي. وأسقطه سائرُ النقاد.

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصلَّى على قارعة الطريق، أو يضربَ الخلاءُ عليها، أو يبالَ فيها». أخرجه ابنُ ماجه (٣٣٠)، والطبرانيّ في «الكبير» (ج١٢/ رقم ١٣١٢٠) من

طريق عمرو بن خالد الحراني، ثنا ابن لهيعة، عن قرة، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه. قال الحافظ في «التلخيص» (١٠٥/١): «في إسناده ابن لهيعة، وقال الدارقطني: رفعُهُ غيرُ ثابتٍ». وضعّف إسناده البوصيري في «الزوائد» (١٤١/١) بابن لهيعة وشيخه، ثم قال: «ولكن للمتن شواهدُ صحيحةٌ». انتهى. وله طريق آخر عن ابن عمر بلفظ: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلّى الرجلُ تحت شجرة مثمرةٍ، ونهى أن يتخلّى الرجلُ على ضفة نهر جارٍ». أخرجه ابنُ عدي (٢٠٥٠/٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤٥٨/٣) من طريق فرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر.

وهو حديث منكر بهذا الإسناد، وابن السائب منكر الحديث في ميمون بن مهران، وفي الباب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا، فذكر حديثًا، وفي آخره: «إياكم والتعريس على جوادِّ الطريق، والصلاة عليها، فإنها مأوى الحيات والسباع، وقضاء الحاجة عليها، فإنها من الملاعن».

أخرجه ابنُ ماجه (٣٢٩)، وابن خزيمة (٢٥٤٨) قالا: ثنا محمد بن يحيى، ثنا عمر بن أبي سلمة، عن زهير بن محمد، قال: قال سالمٌ: سمعت الحسن يقول: ثنا جابرٌ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره. وحسَّن الحافظُ إسناده في «التلخيص» (١٠٥/١)، وتبعه الشوكاني كعادته في «السيل الجرار» (٦٥/١) وفيه نظرٌ، لأن من النكارة في هذا الإسناد قول الحسن «ثنا جابر»، وأحسبُ أن هذا أتى من قبل زهير بن محمد، فقد ذكر غيرُ واحدٍ من النقاد أن رواية أهل الشام عنه مما تكثر فيها المناكير، وعمر بن أبي سلمة شاميٌّ. وأعلَّه البوصيري في «الزوائد» (١٤٠/١) بسالم بن عبد الله الخياط، وذكر تضعيفه عن ابن معينٍ، والنسائي، وأبي حاتم، والدارقطني، وابن حبان، ولذلك قال ابن خزيمة: «إن صحَّ الخبرُ، فإن في القلب شيئًا من سماع الحسن من جابرٍ». وقد صرَّح ابنُ معين أنه لم يسمع منه، وكذلك قال بهزٌ وأبو زرعة. ونقل ابنُ خزيمة (١٤٥/٤) عن الذهلي أنه قال: «كان علي بن عبد الله ينكرُ أن يكون الحسن سمع من جابر».

وقد رواه هشام بن حسان، عن الحسن، عن جابرٍ بالعنعنة.

أخرجه أحمد (٣٠٥/٣، ٣٨١- ٣٨٢)، وأبو يعلى (٢٢١٩)، وابن خزيمة (٢٥٤٩)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٥٢٤)، وليس عند الأخيرين قوله: «فإنها من الملاعن». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٣/٣): «رواه أبو يعلى ورجالُهُ رجال الصحيح»، وفاته أن يعزوه لأحمد، وليس في قوله تصحيح للإسناد كما هو معلومٌ.

وفي الباب- أخيرًا- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه موقوفًا: «إياكم والملاعن، أن يقذف أحدكم أذاه على الطريق، فلا يمرُّ أحدٌ في الطريق إلاَّ قال: لعن الله من فعل هذا». أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٧٩٥) من طريق عمرو بن مرزوق، ثنا شعبة، عن بيان بن بشر، قال: سمعتُ قيس بن أبي حازم يقول: خطب سعدٌ فقال... وسندُهُ صحيحٌ. ورواه أبو عباد يحيى بن عباد، ثنا شعبة بهذا الإسناد، إلا أنه قال: «أظنه رفعه». أخرجه الدارقطني في «العلل» (١٢٣/١). وذكره أيضًا عن محمد بن حميد، عن الطيالسي، عن شعبة بهذا الإسناد مرفوعًا، وابن حميدٍ واهٍ. ولذلك جزم الدارقطني بصحة وقفه، لا سيما وقد رواه إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن سعد موقوفًا عليه.

والحمدُ للَّه رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

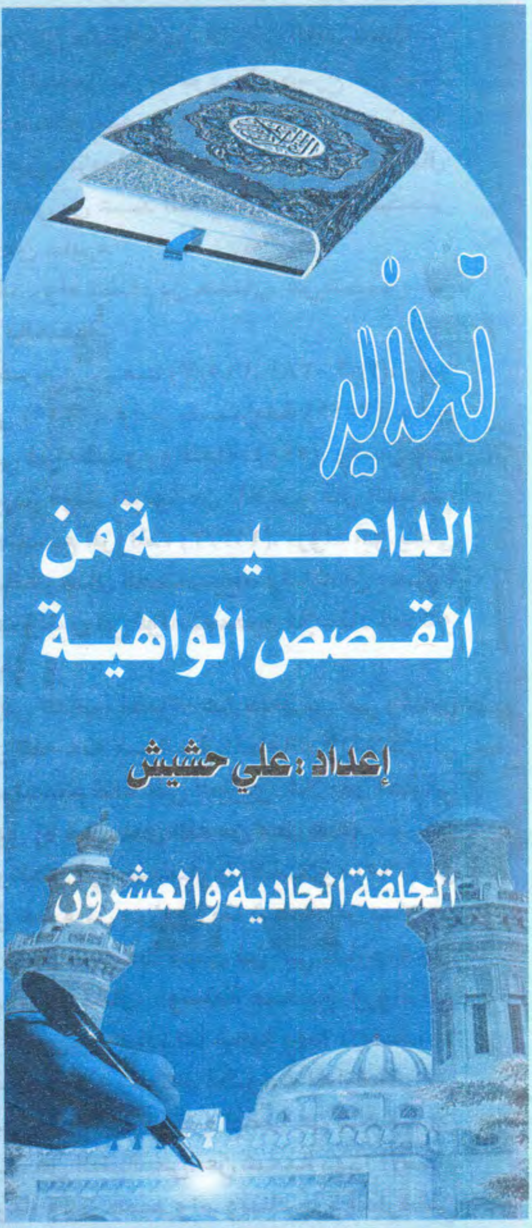

تحذير الداعية من القصص الواهية

إعداد: علي حشيش

الحلقة الحادية والعشرون

قصة تقبيل النبي ﷺ يد الصحابي سعد الأنصاري

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ.

أولاً: متن القصة:

عن أنس بن مالك قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فاستقبله سعد بن معاذ الأنصاري، فصافحه النبي ﷺ ثم قال له: «ما هذا الذي أكفت يداك؟» فقال: يا رسول الله، أضرب بالمر والمسحاة في نفقة عيالي، قال: فقبل النبي ﷺ يده وقال: «هذه يد لا تمسها النار أبدًا».

ثانيًا: التخريج:

هذه القصة أخرجها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٤٢/٧) ترجمة (٣٨٦٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٥١/٢) قال: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (البغدادي) به.

من طريق محمد بن تميم الفريابي حدثنا عبدالله بن عيسى الجرجاني حدثنا عبد الله بن المبارك عن مسعر بن كدام عن عوف عن الحسن عن أنس بن مالك قال: فذكره.

ثالثًا: التحقيق:

القصة باطلة.

١- قال الخطيب في «التاريخ» (٣٤٣/٧): «هذا الحديث باطل؛ لأن سعد بن معاذ لم يكن حيًا وقت غزوة تبوك وكان موته بعد غزوة بني قريظة من السهم الذي رمى به، ومحمد بن تميم الفريابي كذاب يضع الحديث». اهـ.

قلت: وأقره الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص١٥١)، وابن الجوزي بقوله: هذا حديث موضوع، وما أجهل واضعه بالتاريخ.

٢- قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٥١/٢): «هذا حديث موضوع، وما أجهل واضعه بالتاريخ، فإن سعد بن معاذ لم يكن حيًا في غزوة تبوك، لأنه مات بعد غزوة بني قريظة من السهم الذي رمى به يوم الخندق وكانت غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة،

وأما غزوة تبوك فإنها كانت في سنة تسع، فلو كان عند الكذاب توفيق ما كذب، ومحمد بن تميم الفاريابي كذاب».

وأورد الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨٦/٣) آخر ذكر في ترجمته هذه القصة ترجمة (٣٢٠٧)، وقال: «سعد بن معاذ الأنصاري، آخر».

قلت: هذا ليغاير بينه وبين سيد الأوس الذي جزم الحافظ الخطيب بنسبة هذه القصة إليه.

وبالمقارنة:

١- سيد الأوس هو سعد بن معاذ أورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨٤/٣) ترجمة (٣٢٠٦) وقال: «سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة ويكنى أبا عمرو». اهـ.

قلت: لا تصح فيه هذه القصة لما بينه الخطيب.

٢- الآخر الذي نسب إليه الحافظ ابن حجر هذه القصة في ترجمته أورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨٦/٣) ترجمة (٣٢٠٧) قال: «سعد بن معاذ الأنصاري آخر».

قلت: كذلك ذكره بغير نسب.

ملحوظة هامة جدًا

لقد جرى الحافظ ابن حجر على مثل هذا عندما تبيِّن القرائن بطلان الخبر بالنسبة للصحابي، فلقد سلك الحافظ ابن حجر هذا المسلك في القصة المنسوبة إلى الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب حيث قال في «الإصابة» (٤٠١/١): «وفي كون صاحب هذه القصة- إن صح الخبر ولا أظنه يصح- هو البدري المذكور قبله- نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي: إن البدري استشهد بأحد، ويقوي ذلك أيضًا ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية من الأنصار أتى مجلسًا فأشهدهم فقال: ﴿لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ﴾ الآية، فذكر القصة بطولها، فقال:))إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية».

وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فمن يكون بهذه المثابة كيف يُعْقبه الله نفاقًا في قلبه وينزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره. والله أعلم».

قلت: من أجل هذا جعل الحافظ ابن حجر ترجمتين بنفس المسلك في «قصة سعد هذه».

١- ثعلبة البدري: أورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤٠٠/١) ترجمة (٩٢٩) قال: «ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وابن إسحاق في «البدريين».

قلت: لا تصح هذه القصة لما ثبت من الأحاديث في فضل من شهد بدرًا.

٢- الآخر الذي نسب إليه الحافظ ابن حجر هذه القصة في ترجمته: أورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤٠٠/١) ترجمة (٩٣٠) قال: «ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الأنصاري».

قلت: كذلك ذكره بغير نسب تمامًا كقوله: «سعد بن معاذ الأنصاري» ، ولقد بينت بالتفصيل من أقوال الأئمة أن المفترى عليه بهذه القصة هو الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب البدري من غير مغايرة، وهو لا شك فيه، ولكن القصة واهية، وانظر التفصيل في سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» الحلقة (١٥).

رابعًا: وجه الشبه بين القصتين من حيث تراجم الإصابة:

١- لقد استبان من السنة بطلان نسبة القصة لثعلبة بن حاطب البدري، فنسبوا القصة لثعلبة بن حاطب آخر لا يعرف له نسب، سمي ثعلبة بن حاطب الأنصاري.

٢- ولقد استبان من التاريخ بطلان نسبة القصة لسعد بن معاذ سيد الأوس، فنسبوا القصة- التي هي موضوع بحثنا- لسعد بن معاذ آخر لا يعرف له نسب، سمي أيضًا سعد بن معاذ الأنصاري، وتعلق به السيوطي في «اللآلئ» (١٥٤/٢).

خامسًا: «الإسناد من الدين»:

وكان يغني عن هذا كله عدم صحة سند القصة عند أهل الفن، وحسبي في ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» باب «الإسناد من الدين»، حيث قال:

١- وحدثني محمد بن عبد الله بن قهزاد من أهل مرو قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من

الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

٢- وقال محمد بن عبد الله: حدثني العباس بن رزمة قال: سمعت عبد الله يقول: «بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد».

قال الإمام النووي في شرحه لهذا النص: «ومعنى هذا الكلام: إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه، وإلا تركناه، فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم». اهـ.

سادسًا: «أهمية معرفة التواريخ»:

لقد أورد الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» نوعًا هامًا جدًا، حيث قال: «النوع الموفي ستين- معرفة تواريخ الرواة»، ثم قال: «وفيها معرفة وفيات الصحابة والمحدثين والعلماء ومواليدهم ومقادير أعمارهم ونحو ذلك، ثم نقل عن الإمام «سفيان الثوري» أنه قال: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ».

قلت: انظر إلى هذه النفائس وكيف طبقها الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي على هذه القصة الواهية، حيث قال في «التاريخ» (٧/٣٤٣): «هذا الحديث باطل؛ لأن سعد بن معاذ لم يكن حيًا في وقت غزوة تبوك وكان موته بعد غزوة بني قريظة من السهم الذي رمي به، ومحمد بن تميم الفريابي كذاب يضع الحديث».

قلت: انظر إلى جزم الخطيب: بأن الصحابي المنسوب إليه هذه القصة الواهية هو سعد بن معاذ سيد الأوس وكيف لا يكون كذلك والإمام الخطيب جهبذ هذا الفن.

سابعًا: «أهمية المتفق والمفترق»:

قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث»: «النوع الرابع والخمسون: معرفة المتفق والمفترق- من الأسماء والأنساب وغيرها». ثم قال: «هذا النوع متفق لفظًا وخطًا... وهذا من قبيل ما يسمى في أصول الفقه: المشترك وزلق بسببه غير واحد من الأكابر، ولم يزل الاشتراك من مظان الغلط في كل علم، وللخطيب فيه كتاب المتفق والمفترق». اهـ.

وربما أنه صاحب هذا الفن فقد جزم بأن الصحابي المنسوب إليه هذه القصة الباطلة هو سعد بن معاذ سيد الأوس ولم ينسب القصة لسعد بن معاذ آخر لا يعرف، وبهذا يكون الخطيب رحمه الله قد بين للأمة أهمية معرفة التواريخ هذا النوع الهام في علوم الحديث.

ولم يكتف الخطيب رحمه الله بهذا، بل أورد علة أخرى، وهي: محمد بن تميم الفريابي وبين أنه كذاب يضع الحديث، فالقصة واهية وإن نسبت إلى آخر.

ثامنًا: «إقرار الحافظ ابن حجر أن القصة واهية»:

لقد أقر الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الإصابة» (٣/٨٦) بأن القصة واهية، حيث قال: «وروى الخطيب في «المتفق» بإسناد واهٍ، وأبو موسى في «الذيل» بإسناد مجهول عن الحسن، عن أنس». فذكر القصة.

قلت: وقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذه القصة: وروى الخطيب في «المتفق» بإسناد واهٍ، هو ما سبقه إليه الخطيب في «التاريخ»، حيث قال: «محمد بن تميم الفريابي كذاب يضع الحديث».

قلت: ولم ينفرد الإمام الخطيب بهذا القول في محمد بن تميم الفريابي، فقد قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٣٠٦): «محمد بن تميم بن سليمان السعدي الفريابي: يضع الحديث»، وأقره الذهبي في «الميزان» (٣/٤٩٤/٧٢٩٠)، وزاد الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٥/١١٢) ترجمة (٣٣١/٧١١٦) حيث نقل عن سهل بن ساذويه ببخارى أنه قال: رأيت ببخارى ثلاثة من الكذابين الذين يكذبون على رسول الله ﷺ: محمد بن تميم، والحسن بن سهل، وآخر.

ثم نقل أقوال أهل الفن في محمد بن تميم الفريابي فقال: «وقال الحاكم: هو كذاب خبيث، قال النقاش: وضع غير حديث، وقال أبو نعيم: كذاب وضاع». اهـ.

قلت: ولقد نقل الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١/٣٨٧) عن الشيخ عبد الحي الكتاني في «التراتيب الإدارية» (٢/٤٢، ٤٣) أن الكتاني قال بعدما نقل كلام الحافظ: «قلت: في هذه القصة عجيبة، وهي تقبيل النبي ﷺ يد صحابي لأجل ضربه الأرض بالفاس، فعقبه الألباني قائلاً: «قلت: لكن يقال: أثبت العرش ثم انقش، فإن القصة غير ثابتة كما علمت» . اهـ.

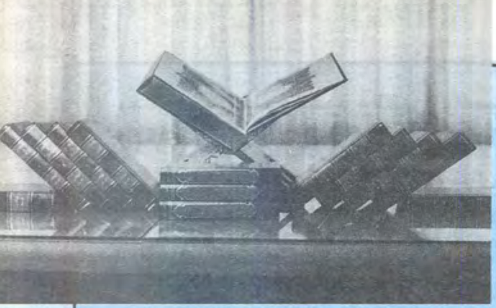

عقيدة أئمة أهل الحديث للإمام الحافظ: أبي بكر الإسماعيلي

اعداد: علاء خضر

المؤلف: الإمام الحافظ الفقيه شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي صاحب المستخرج على الصحيح وشيخ الشافعية.

مولده: ولد عام ٢٧٧هـ.

صنف تصانيف تشهدُ له بالإمامة في الفقه والحديث.

روى عن: إبراهيم الحلواني وحمزة الكاتب وغيرهم.

حدث عنه: الحاكم وأبو بكر البرقاني وغيرهم.

قال عنه حمزة بن يوسف: سمعت الدارقطني يقول: قد كنت عزمت غير مرة أن أرحل إلى أبي بكر الإسماعيلي فلم أرزق.

وقال عنه الحاكم: كان الإسماعيلي واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء.

وفاته: توفي سنة ٣٧١هـ.

موضوع الكتاب

تقرير عقيدة أئمة أهل الحديث التي هي عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين بأسهل عبارة وأوضح إشارة.

أهمية الكتاب

من المختصرات العقدية التي احتوت على عامة مسائل الاعتقاد التي يذكرها أهل العلم في مصنفاتهم، وصاحب الكتاب من أئمة أهل الحديث الذين ساروا على هدي السلف الصالح.

منهج المؤلف في الكتاب

يتبع طريقة الاختصار في عرضه للمسائل، ولا يكاد يذكر مسألة إلا ويذكر ما يدل عليها من الكتاب أو السنة، وقرر مسائل الكتاب في جزء صغير، وأكثر من قوله: «يقولون»، يقصد بذلك أهل السنة والجماعة.

محتويات الكتاب

رغم صغر حجم الكتاب، إلا أنه تناول مسائل مهمة، مثل القول في الأسماء والصفات، وإثبات صفة اليدين لله، والوجه والسمع والبصر والعلم والقدرة والكلام، وإثبات المشيئة، وعلم الله، وأن القرآن الكريم كلام الله، وأن أفعال العباد مخلوقة، وأن الخير والشر بقضاء الله تعالى، ونزول اللَّه عزَّ وجلَّ إلى السماء الدنيا، ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة وحكم تارك الصلاة، وأقوال أهل العلم في الفرق بين الإسلام والإيمان، وإثبات الشفاعة والحوض والمعاد والحساب، والمفاضلة بين الصحابة وقولهم فيمن يبغض الصحابة، وأعمال العباد لا توجب لهم الجنة إلا بفضل الله، وتكلم في لزوم الجماعة ووجوب لزوم مذهب أهل الحديث «الفرقة الناجية».

أهم مسائل الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بقوله: «اعلموا رحمنا الله وإياكم، أن **مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة**: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى وصحت به الرواية عن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم لا معدل عما ورد به ولا سبيل إلى ردّه إذْ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونًا لهم الهدى فيهما، مشهودًا لهم بأن نبيهم صلى اللَّه عليه وسلم يهدي إلى صراط مستقيم محذرين من مخالفته الفتنة والعذاب الأليم».

ثم **قال في أسماء الله وصفاته**: «ويعتقدون أن اللَّه تعالى مدعُوٌ بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته: التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ، خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف، ويثبتون أن له وجهًا وسمعًا وبصرًا وعلمًا وقدرةً وقوةً وعزةً وكلامًا لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، وقال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾، فهو

تعالى، ذو العلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام.

وقال في الاستواء: وأنه عزَّ وجلَّ استوى على العرش بلا كيف، فإن الله تعالى انتهى من ذلك إلى أنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواؤه.

وأثبت أن أفعال العباد مخلوقة في قوله: ويقولون- أي أهل السنة والجماعة- أنه لا خالق على الحقيقة إلا الله عز وجل، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا حجة لمن أضله الله عز وجل ولا عذر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾، ومعنى ﴿نَّبْرَأَهَا﴾ أي: نخلقها وبلا خلاف في اللغة.

وقال في نزول الله عز وجل: وأنه عز وجل: ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ بلا اعتقاد كيف فيه، وعن حقيقة الإيمان قال: ويقولون- أي أهل السنة-: إن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من كثرت طاعته أزيدُ ممن هو دونه في الطاعة.

وفي مرتكبي الكبيرة وحكم تارك الصلاة عمدًا قال: ويقولون: إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة، صغائر أو كبائر مع الإقامة على التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله عن الله، فإنه لا يُكفر به ويرجون له المغفرة. قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾. واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة حتى يذهب وقتها من غير عذر؛ فكفره جماعة، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة». وقوله: «من ترك الصلاة فقد كفر». وتأول جماعة منهم بذلك من تركها جاحدًا لها، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ترك جحود الكفر، وفي الشفاعة والحوض والمعاد قال: ويقولون: إن الله يخرج من النار قومًا من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين، وأن الشفاعة حق، والحوض حق، والمعاد حق، والحساب حق.

وعن عذاب القبر قال: ويقولون: إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه، وإن شاء عفا عنه، لقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، فأثبت لهم ما بقيت الدنيا: عذابًا بالغدو والعشي دون ما بينهما، حتى إذا قامت القيامة عذبوا أشد العذاب بلا تخفيف عنهم، كما كان في الدنيا.

وقال فيمن يبغض الصحابة: ومن غاظه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه؛ لقوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فأخبر أنه جعلهم غيظًا للكافرين.

وفي تفريقه بين دار الإسلام ودار الكفر قال: ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر كما رأته المعتزلة ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين.

وفي تخبط الجن بالإنس قال: ويؤمنون بأن الله تعالى خلق الشياطين توسوس للآدميين ويخدعونهم ويغرونهم وأن الشيطان يتخبط الإنسان، وأن في الدنيا سحرًا وسحره، وأن السحر واستعماله كفر من فاعله معتقدًا له نافعًا ضارًا بغير إذن الله.

وقال في البدع: ويرون مجانبة البدع والآثام والفخر، والتكبر، والعجب، والخيانة، والدغل، والسعاية.

ويرون كفَّ الأذى وترك الغيبة إلا لمن أظهر بدعة وهوى يدعو إليها، فالقول فيه ليس بغيبة عندهم.

ثم ختم كتابه في لزوم اتباع مذهب أهل الحديث وأنهم الفرقة الناجية في قوله: هذا أصل الدين والمذهب: «اعتقاد أئمة أهل الحديث»: الذين لم تشنهم بدعة، ولم تلبسهم فتنة، ولم يخفوا إلى مكروه في دين، فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعًا، وما تفرقوا عنه.

واعلموا أن الله تعالى أوجب محبته ومغفرته لمتبعي رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه، وجعلهم «الفرقة الناجية» والجماعة المتبعة، فقال عزَّ وجلَّ لمن ادعى أنه يحب الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

نفعنا الله وإيَّاكم بالعلم، وعصمنا بالتقوى من الزيغ والضلالة بمنِّه ورحمته.

حكم الإسلام في تحديد النسل!!

بقلم: بكر محمد إبراهيم

الحمد لله باري النسمة، مالك الملك، القاهر فوق عباده، والصلاة والسلام على البشير النذير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد.

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذا أمر إلهي للمسلمين أن يستعدوا بكل قوة يستطيعها الإنسان، بالقوة المالية، والقوة العلمية، والقوة البدنية، والكثرة العددية، وغيرها من أنواع القوى التي يمكن أن يحصل عليها الإنسان، والغرض من إعداد القوة لو لم تكن هناك حرب بالفعل بين المؤمنين والكافرين وهو ما يسمى بالحرب النفسية، والحرب الوقائية، والله تعالى يريد من المسلمين أن يكون هذا الاستعداد دائما يتوارثه الأجيال بعد الأجيال، فلا يجوز لجيل من أجيال المسلمين أن يهمل هذا الاستعداد بحجة أن الأمن الإسلامي مستتب، والعدو مندحر مهزوم، لأن الله تعالى كما قصد إرهاب الكفار قصد إرهاب آخرين لا نعلمهم، والله وحده يعلمهم، وجهالتنا بهذا العدو الذي يعلمه الله وحده تجعلنا في حالة من حالات الاستعداد، والطاعة العسكرية الواجبة دون مناقشة في حكمة ولا في سبب، بل هو الاستعداد واليقظة لردع من تحدثه نفسه بغزو بلاد الإسلام.

ولما كانت أعين الكفار مفتوحة على عالم الإسلام، تحسب كل حركاته وتطلعاته حسابًا دقيقًا، وكنا نحن في حال من الغفلة والاسترخاء، فقد استعمل العدو ذكاءه في تجريد المسلمين من مصادر القوة، فقضى على القوة العلمية، فأصبح المسلم تابعا بأفكاره لأفكار أعداء الإسلام، يدعو إليها بين أهله، ويعتبرها رمزًا للتجديد والحضارة والتقدم، وقضى على القوة العسكرية حين احتكر السلاح المبتكر، ولم يزود المسلمين منه إلا بما يريد، وقضى على القوة المالية حين ربط المسلمين بعجلته، وأذلهم بالديون الربوية، وكان آخر ما في جعبة العدو: أن يقضي على القوة العددية، فسعى بيننا إلى تحديد النسل باسم تنظيم الأسرة، وتعلل بضيق الموارد، وشدة الحياة، وثقل تبعات الأبناء.

إن الله هو الرزاق

وهذا غريب من عدة جهات، أهمها: أن الله ضمن الأرزاق، وأقسم لنا على ضمانها، فلم يثق البعض في وعده، وقالوا: لابد من تحديد النسل خوفا من الفقر، الثانية: أننا اشتغلنا بما هو من خصائص الله تعالى وتدبيره، وأهملنا ما طلبه منا من السعي والبحث والعلم والطاعة والاستعداد بكل قوة، والثالثة: أن ادعاء الفقر إنما هو ادعاء كاذب؛ لأن بلاد الإسلام غنية بما يكفي أهلها، لو استغلوا ثرواتها استغلالاً صحيحًا.

والله تعالى يأمرنا بتنمية القوة العددية وبالتكاثر، والمسلمون يخشون الفقر، والله تعالى يقول: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

والله تعالى يقول في الحديث القدسي: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. الحديث.

بعض دواعي تحديد النسل

ولقد سارع بعض العلماء إلى إصدار الفتاوى المبيحة للحد من النسل ونحن نعرض الأحداث التي يشبه الحكم فيها تحديد النسل، والتي وقعت على عهد الرسول ﷺ وحكمه فيها لتكون أساسا للنظر دون سائر الآراء.

لم تكن في أيام الرسول ﷺ وسيلة لمنع الحمل إلا العزل، وهو أن يلتقي الرجل بامرأته، فإذا أوشك على الإنزال، أنزل في الخارج، ومثله الآن: استعمال الحواجز، وحبوب منع الحمل، وما يقال عن وسائل تعقيم الرجل والمرأة.

أخرج مسلم أن رجلا سأل أبا سعيد: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر العزل؟ قال: نعم، غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق، فسبينا كرائم العرب، فطالت علينا العُزبة، ورغبنا في الفداء - يعني المال الذي يدفع لفداء الأسرى لحاجتهم إليه، فأردنا أن نستمتع ونعزل - وذلك لأن الجارية إذا حملت لا يصح بيعها - فقلنا: نفعل ورسول الله بين أظهرنا لا نسأله؟ فسألناه فقال: «لا عليكم ألا تفعلوا، ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون»، وفي رواية أخرى أنه قال حين سألوه: «وإنكم لتفعلون... وإنكم لتفعلون» فكأنه استنكر هذا العمل.

هذه حالة من الحالات التي عرضت على النبي ﷺ، وحالة ثانية وردت في البخاري عن أبي سعيد قال: ذكر العزل - يعني منع الحمل - عند رسول الله ﷺ، فقال: «وماذاكم»؟ قالوا: الرجل تكون له المرأة ترضع، فيصيب منها، ويكره أن تحمل منه، فقال: «لا عليكم ألا تفعلوا فإنما هو القدر».

وفي رواية: «ما من كل الماء يكون الولد، وما أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء».

قال محمد بن سيرين والحسن البصري: كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الحالتين كأنه زجر عن هذا العمل الذي يمنع الحمل بزعم الإنسان.

وقد صدقت الوقائع ما أخبر به رسول الله ﷺ، فقد أخرج الشيخان عن جابر أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لي جارية خادمنا وسانيتنا - وأنا أطوف عليها، وأكره أن تحمل، فقال: «اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قدر لها»، فلبث الرجل ثم أتاه، فقال: إن الجارية قد حبلت، فقال صلى الله عليه وسلم: «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها».

وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال حين سُئل عن العزل قال: «ذلك الوأد(١) الخفي».

هذه هي النصوص التي وردت عن منع الحمل في زمن الرسول ﷺ، وهذا هو رده الحكيم على من سألوه، ومنه نستخلص القواعد التالية:

أولا: أن موضوع التحرز من النساء في زمن التشريع كان محصورًا في الجواري خوفًا من تلف المال على أصحابه، وفي الزوجات المرضعات خوف أذى الولد الرضيع بولد آخر ورد الرسول صلى الله عليه وسلم في هاتين الحالتين يحمل معنى الزجر، وردًا للأمور إلى القضاء والقدر، أما الزوجة غير المرضع، فلم يرد فيها شيء.

ثانيا: بناء على قاعدة «الضرورة تبيح المحظور» اختلف الفقهاء، وخلاصة الحكم في منع الحمل عن الزوجات الحرائر: أنه جائز عند توقع المرض المحقق للزوجة بسبب الحمل، وللزوجة المرضع إذا تحقق الضرر على الطفل الرضيع، ويكون المنع في كل ذلك بناء على أمر طبيب مسلم عدل.

الصبر على تربية الأبناء

وقد حث الرسول ﷺ على النسل بما ورد من أحاديث ثواب الصبر على تربية الأبناء، الإحسان إلى البنات وغيرها من الأحاديث.

هذا ومن يمعن النظر في هذه الحملة المسعورة لتحديد النسل يلحظ أنها كانت تسمى تحديد النسل ثم سُميت تنظيم النسل، لذر الرماد في العيون، وهل كل الأسر بلا استثناء في حاجة إلى تنظيم النسل؟ هل كل الأمهات مرضى؟ وإذا كانت الحجة هي الفقر فلماذا يكلف الأغنياء أيضًا بتحديد النسل؟ وهل تحديد النسل في صالح الفلاح الذي يحتاج الأولاد في حرث الأرض وجمع المحصول؟ وهل تم تعمير كل أجزاء الأرض المصرية ونحن نعيش على مساحة ضئيلة جدًا من الأرض وبقية أرضنا جبال وصحاري؟ وإذا نظرنا نظرة شاملة على مستوى العالم الإسلامي كله فهل يا ترى تم تعمير جميع بلاد المسلمين؟ والسودان كما قيل بها ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة؟ وما السر في أن الذي يشرف على حملة تحديد النسل بهمة ونشاط لا يفتر منذ عشرات السنين هي الولايات المتحدة التي يبلغ تعدادها ٢٥٠ مليون نسمة؟

وإذا كنا نضيق بـ ٦٥ مليونًا هم أهل مصر فماذا تفعل الصين التي يبلغ تعدادها ١٢٠٠ مليون نسمة؟

ثم تصدر التوجيهات لكافة أجهزة الدولة لتأييد حملة تنظيم النسل، ويتم الضغط على العلماء والدعاة الذين يبينون حكم الله في هذه المسألة ويصفونهم بالجهل والتخلف والخروج على التوجيهات، المفترض أن يخضع الناس لحكم الله لا أن يخضع شرع الله للأهواء.

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد، والله من وراء القصد.

هامش

(١) الوأد: دفن الطفلة حية.

سعادة الإنسان في العمل بالقرآن

بقلم الأستاذ/ محمود إبراهيم الموجي

جاء رسول الله ﷺ بالنور المبين والهدى والفرقان، فعلم الناس أن الله هو الحق الأحد، وأن من سواه وما سواه عباد مقهورون بقهره، وعوالم مربوبون بعزته، فكل العلوم والفنون التي أظهرها الإنسان في هذا العصر هي نتاج النهضة الإسلامية المباركة. إذ كان المجتمع الإنساني قبل الإسلام هاويًا في الحضيض الأسفل لم يبلغ رقيه مبلغ كمال بعض أنواع الحيوانات التي تتفاوت كالنمل والنحل والقردة وذلك لأن المجتمع كان يمثل برية يسكنها أنواع كثيرة من الوحوش والغزلان والطير.. فكان قوت القوى من الضعيف ظلمًا، وكانت قواهم العقلية منصرفة إلى التسليم الدال على فسادها. فإن منهم من كان يقدس الأنهار، ومنهم من كان يقدس الأفلاك، ومنهم من كان يقدس الحجر، ومنهم من كان يقدس البقر، ومنهم من كان يقدس الملوك، ومنهم من كان يدعي أن ولدًا ولدته امرأة من غير أب صار إلهًا فعبدوه أو اتخذوه ابنًا للإله أو حلَّ فيه الإله... هذا ما كان فيه المجتمع حتى أنقذهم الله بنور الرسالة المحمدية فتحقق كل مسلم أن ما عدا الإنسان مسخر للانسان، وأن الإنسان هو النوع الوسط الذي خلقه الله تعالى بيديه وجعله خليفة عنه سبحانه، والمقصود بالحياة الأبدية، فنشط الإنسان من عقاله وعرف قدر نفسه في هذا الكون، وبمعرفته نفسه عرف قدر ربه فقام يستخدم ما كان يقدسه ويعبده من دون الله، ولم يرتق أهل أوروبا إلا بعد أن تخلوا عن دينهم وقلدوا رجال العلم والعمل في المسلمين في ما جملهم الله به من العلوم القرآنية، وبالعكس فالمسلمون انحطوا قدرًا لما أن تهاونوا بأحكام دينهم، وما على العاقل المنصف إلا أن ينظر نظرة مفكر لينظر فيرى الإفرنج قد تقدموا ماديًا لترك دينهم، والمسلمين قد تأخروا بإهمالهم أحكام دينهم ولو أن المسلمين حافظوا على ما كان عليه السلف لدام لهم المجد الأول والعزة... قال الله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

الإنسان بدون القرآن حيوان راتع

ظهر لنا أن الإنسان قبل القرآن كان أقل من البهائم الراتعة لأن البهائم لا تنقاد مذللة إلا بالقوة القاهرة، والإنسان قبل القرآن انقاد بقوة فكره وعقله مختارًا لإنسان مثله فجعله إلهًا يعبد أو لصورة صنعها بيده واتخذها إلهًا... هذا ما كان عليه الإنسان قبل القرآن.. ولكن أنوار القرآن وأسرار السنة جعلت الإنسان كاملا ظاهرًا وباطنًا حسًا ومعنى فقام يعمل للدين والدنيا والآخرة، فتنافس الناس في العلم وخدموا السنة والملة والجماعة فكان الخير والسعادة والعزة والتمكين في الأرض بالحق فترة من الزمن. تمتع العالم الإسلامي خلالها بما لم تحظ بمثله أمة خلت من قبله غير ما ادخر الله لهم في دار كرامته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية الدائمة.

كل ذلك إنما حصل لهم من الإيمان بالقرآن والاهتداء بهديه وتدبر معناه وإحلال حلاله وتحريم حرامه وتنفيذ أحكامه والاعتصام بحبله المتين يوم أن كان الله يعبد وحده ويسأل وحده ويتوكل عليه وحده، ويستعان به وحده.. ويذبح له وحده وينذر له وحده.. لأنه مالك الملك وخالق الخلق وباسط الرزق وحده وهو على كل شيء قدير.

ثم خلف من بعدهم خلف تركوا الاعتصام بالقرآن، واتبعوا حظوظهم وشهواتهم حتى انهار هذا العماد الرفيع الذرى، ونام العالم الإسلامي نومة الغفلة ورقد رقدة الجهالة فانتهز وحوش الغرب هذه الفرصة وتمكن أعداء الإسلام والمسلمين من بث عوامل الفساد بين المجتمع حتى أشرب أهل الغواية في قلوبهم الفساد والضلال وكانوا دعاة لتمزيق المجتمع وإذلال سلطانه وإضعاف قوته، فقام بين كل جماعة صارخ يصرخ مرة باقتفاء آثار الإفرنج وتارة بإظهار عيوب المسلمين ومعاداتهم، وآونة بتفريق الجسد الإسلامي فيجعل منه عربًا وتركًا ومصريين وسوريين وسودانيين وهنودًا وغير ذلك وقام في كل جماعة وبلد دعاة سوء وعلماء فتنة ينشرون وثنية الصوفية المجرمة المدمرة وينفثون سمومها المهلكة لا أقول بين الدهماء والعوام فحسب.. بل وياللحسرة بين كثير من العلماء فأعادوا بذلك سيرة الجاهلية الأولى قبل القرآن من تقديس الأشجار والأحجار والقبور وما إليها فأعرض الله عنهم بكلاءته وحفظه ورحمته ووكلهم إلى أنفسهم وإلى عدوهم الذي مزقهم شر ممزق، وجاس خلال ديارهم واتخذ من تفرقهم شيعًا وأحزابًا أمضى سلاح استعمله في إذلال الرجال وسلب المال واستعباد الأحرار.. والجزاء من جنس العمل ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.

السلف والخلف في الميزان

فانظر رحمك الله إلى السلف والخلف، وكيف أن السلف حين ما أشرقت شمس الإسلام على العقول والأفكار والقلوب والأرواح سارعوا منافسين في العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، فبحثوا ونقبوا ونظروا، وعملوا واخترعوا وابتكروا خدمة لكتاب الله وعملا بسنة رسول الله.. وقام منهم الدعاة في كل أقطار الأرض فملأوا الأرض بأنوار الحكمة العملية والنظرية، وقام كل فرد من أفراد المسلمين بعد تحصيل ما وجب عليه من العلوم ممتازًا بعلم من العلوم التي صرف نفيس وقته فيها فكان منهم الطبيب النطاسي، والحكيم البارع والفقيه المستنبط والسياسي المحنك والمخترع المدهش للعقول، لا يكاد يدخل تحت حصر وانتشر هؤلاء العلماء في كل الأنحاء، فأيقظوا العالم من غفوته.

كل ذلك بما سرى من روح القرآن في أبدانهم وأشرق من أنواره على قلوبهم.

وانظر إلى الخلف وقد أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، يحبون العاجلة ويذرون الآخرة.

ومن علامة حبهم للعاجلة أنهم يضحون بكل فضيلة ومكرمة في جلب النفع الخاص لأنفسهم غير مبالين بالشر الذي ينجم عنه مهما كان ولو عم كل مسلم ما دام الواحد منهم مغمورًا بما يلائم حظه وهواه.. والبَغيض كل البُغض عندهم هم أهل الحق إذا لم يكن لهم سلطان قائم... فتراهم يقبحون عوائد أهل الحق وهي الفضيلة الكاملة. وأخلاقهم، وهي الجميلة العادلة.. وعقائدهم وهي الحق المبين.. ثم يدعون بعد ذلك أنهم مسلمون والله يشهد إنهم لكاذبون.

نداء العودة

أيها المتسمون باسم الإسلام المعرضون عن القرآن. قد أصبحتم بذلك رعية أذلاء بعد أن كنتم رعاة أعزاء.. ضعفتم بعد القوة.. وتفرقتم بعد الجمع.. صرتم تؤكلون ولا تأكلون.. وتؤخذون ولا تأخذون.. وتسمعون وتطيعون لغير حكم الله ورسوله وبان لكم خطأ انحرافكم عن دينكم مجسما حتى صبت عليكم أنواع المصائب وضيق عليكم الخناق واستعبدتم أيما استعباد. فهل كان ذلك أزجر وأردع لنفوسكم الجامحة من تذكير العلماء ووعظ الحكماء فتعملون على خلاصكم من هذا الذل والعذاب المهين بالأسباب التي شرعها لكم ربكم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وتتركون الأضرحة وعبادة ما بها من الموتى فطالما جربتم ذلك بلا جدوى. بل جر عليكم أذيال الخيبة والخسران والفشل والعار والدمار غير ما سجلتموه بذلك على أنفسكم من الشقاء الأبدي والخزي السرمدي في نار جهنم ثم يقول لكم ربكم ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾.

القرآن الكريم هو النجاة من الهول في الدنيا والآخرة.. القرآن هو سبيل الحظوة بالحسنى في الدنيا والآخرة.. فلا تعملوا عملا حتى يظهر لكم من القرآن الحكيم حكمه.. فإن أحل فاعملوا وإن حذر فامتنعوا ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾.

والله من وراء القصد ،

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحًا صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

•••

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيَيْن - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

•••

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط - عقيدة وعملاً وخلقاً.

•••

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مُشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه ، منازعٌ إياه في حقوقه.

••••

تُلقَى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية يومياً عقب صلاة المغرب.

دعوة لنشر التوحيد عبر

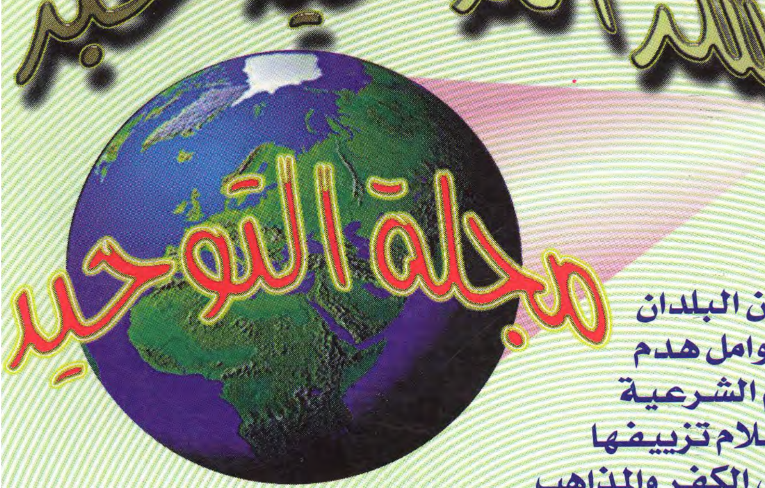

مجلة التوحيد

الحمد لله وبعد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعُبدت القبور وذُبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُّبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى ، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء ـ مجلة التوحيد ـ منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة ـ حفظكم الله ـ إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق. فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

التوحيد
تصدر عن
جمعية أنصار السنة المحمدية
رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

أسرة مجلة التوحيد